الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الانسانية والإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

عنوان المذكرة:

الأوبئة في الجزائر خلال الإحتلال الفرنسي 1962_1830

مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص المغرب العربي المعاصر

من إعداد الطلبة :

- ✓ بوشويرب مباركة
- ✓ شاتي سارة
- ✓ لوباقي فايزة

تحت اشراف :

** د/ جفال عمر

السنة الجامعية: 2021/2020

كلمة شكر

بالله نبدأ .. وبه التمام وبإسمه يفتتح الكلام وله الحمد والشكر

يقول عز وجل في محكم تنزيله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ " رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي

وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني في عبادك الصالحين " سورة النمل الآية 19

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبتوفيقه تنال الغايات

بداية نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "جفال عمر"

الذي تحمل معنا مشقة هذا العمل وكان لنا نعم المعين ..

الشكر موصول لرئيس قسم التاريخ "جعيرن" على كل ما قدمه لنا طيلة فترة دراستنا ..

وكذا عمال المكتبة، وكل من شجعنا بدعاء أو بكلمة وحتى بابتسامة ..

لمن أعانونا لإتمام هذا العمل ..

نتوجه لكم بكلمة شكر وعرفان على ما قدمتموه

إهداء

قال تعالى : وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا

إلى أغلى جوهرة وهبها الله لي .. والشمعة التي أنارت دربي ..

إلى رمز الحياة والعطاء .. أمي الحبيبة، أطال الله في عمرها.

إلى أخي الهواري، أختي فاطمة الزهراء، حفظهم الله ورعاهم.

إلى زوجي المهمون .. رفيقي في كل خطوة .. زكرياء، حفضه الله ورعاه.

إلى أغلى ما أملك نور عيني ومهجة حياتي، إبني الغالي أطال الله في عمره وحفظه من كل سوء

إلى كل من يتسع له قلبي ولم يذكره قلمي

إلى كل طلبة وأساتذة قسم التاريخ

سـارة

إهداء

إلى من مهد لي طريق العلم بعد الله عز وجل

إلى من وقفا بجانبي وكان لهما الفضل فيما وصلت إليه

إلى التي حملتني وهنا على وهن وسهرت من أجلي الليالي أمي الغالية مسعودة حفظها الله وأطال عمرها

إلى أغلى إنسان في الوجود أبي العزيز خالد الذي لم يبخل بأي شيء لكي يراني في أنا عليه الآن

إلى من عشت براءة طفولتي معهم فلم أتصور للدنيا طعما بعيدة عنهم

إخواني وأخواتي

إلى كل من ساهم في تكويني من بداية حياتي الدراسية إلى كل من كان لي سندا في إنجاز هذا العمل المتواضع

إلى كل من يعرفني من قريب أو من بعيد إليكم مني جزيل الشكر

مباركة

إهداء

الحمد لله الذي أنار لي طريقي وكان لي خير عون ..

إلى من أدين له بحياتي .. إلى من ساندني وكان شمعة تحترق لتضيء طريقي ..

إلى أبي، الحاج محمد أطال الله في عمره .. أسأل الله أن يشفيه ويعافيه ..

إلى أغلى ما أملك في هذه الدنيا .. إلى من وضعت الجنة تحت أقدامها .. إلى التي أرجو أن أكون نلت رضاها ..

أمي الغالية، مباركة أطال الله في عمرها ..

إلى الذي وقف بجانبي وتحمل معي مشقة هذا البحث .. زوجي الغالي، رشدي.

إلى ولديَّ اللذان حفزاني على تكملة مشواري الدراسي ..
وكانا عونا لي، "أحمد" "نصيرة".

إلى قرة عيني إبني الغالي، "أحمد ريان".

إلى أختاي، مروة ومرية وأبناءهما جاسم ومحمد ومرام.

إلى إخوتي .. أيمن ، عبد الرزاق، محمود، عبد المؤمن، هشام وعبد الجليل.

إلى كل من ساهم في تكويني منذ بداية حياتي الدراسية ..

إلى كل من كان لي سندا في إنجاز هذا العمل المتواضع ..

أهدي ثمرة جهدي للذين لولا حبهم لي وتضحياتهم من التي ما كانت لترى النور

فايزة

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

الرقم	الموضوع	الصفحة
01	إهداء	
02	تشكر	
03	فهرس المحتويات	
04	فهرس الجداول	
05	ملخص الدراسة	
06	مقدمة.....	أ-ح
	الفصل الأول	
08	الأوضاع السياسية	
09	الثورات والاغتيالات.....	
10	الأوضاع الاقتصادية في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي.....	
11	الزراعة.....	
12	الصناعة.....	
13	التجارة.....	
14	الأوضاع الاجتماعية.....	
	الفصل الثاني	
16	تمهيد.....	
17	الكوليرا.....	
18	الطاعون.....	
19	التيفوس.....	
20	مرض الجدري.....	
21	حمى المستنقعات.....	
22	الأمراض الصدرية.....	
23	الزهري.....	
24	السل.....	
25	أمراض العيون.....	

فهرس المحتويات:

26	الإسهال وأمراض الأمعاء الغليظة.....	
	الفصل الثالث	
28	تمهيد.....	
29	المحاجر الصحية.....	
30	التطعيم ضد الجدري كوسيلة لمنع العدوى.....	
31	التلقيح عند العرب.....	
32	التلقيح الاجباري.....	
33	رفض التلقيح.....	
34	الخدمات الصحية خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830/1962م)..	
35	خاتمة.....	
36	قائمة المصادر والمراجع	

فهرس الجداول

فهرس الجداول:

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
01	تكون حركة النشاط التجاري عام 1845 في أهم الأسواق بمدن الشرق الجزائري	
02	يمثل عدد الوفيات من عام 1848-1853	
03	ضحايا وباء الكوليرا في مدينة الجزائر سنة 1835	
04	عدد الإصابات والوفيات لوباء الجدري	
05	معطيات وبائية للملاريا باختلاف المناطق والسنوات في النصف الأول من خمسينيات القرن 20	
06	الزهري	
07	مرض السل	
08	مرض السل	
09	جدول تلقيح المسلمين	
10	الأطباء في العمالات الثلاث الجزائر وهران قسنطينة	
11	الإعانات المالية للجيش الفرنسي لإعادة تهيئة الوسط الصحي بالجزائر	
12	عينة عن فترة 1882-1883-1884 لاستقبال المقاطعات الثلاث لأعداد المرضى المدنيين:	

مقدمة

إن دراسة تاريخ الأوبئة والأمراض في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي 1830-1962 لم يحتل أهمية كبيرة، حيث عرفت الجزائر سلسلة من النوبات الوبائية نتيجة اجتياح الأمراض المعدية للبلاد في فترات مختلفة من تاريخها الحديث والمعاصر، إن هذه الأوبئة ما كانت لتصل إلى هذا الحد من الخطورة والفتك بالسكان لولا تدخل الإدارة الاستعمارية وسياستها المجحفة التي جوعت الجزائريين ومنعت عنهم العلاج، فجعلت من الفرد الجزائري إنسانا ضعيف البنية ومحطم النفسية حتى أضحى فريسة سهلة لمختلف أنواع الأمراض والأوبئة، وقد كان الوباء يزداد فتكا بالسكان إذ تزامن مع سنوات الجفاف والمجاعة، أو ظروف الحرب مثل الحربين العالميتين التي رافقهما انتشار رهيب لوباء التيفوس المعروف بمرض الفقر والفقراء، ومما زاد الأحوال الصعبة تدهورا انتشار المستنقعات بالسهول الساحلية وحول المدن الكبرى.

وكنتيجة حتمية لتلك الوضعية تناقص عدد سكان المدن والأرياف وتكاثر الأمراض والأوبئة كالطاعون إذ عانى الجزائريون منه أشد المعاناة، نظرا لتكرار ظهوره في شكل متواتر، بالإضافة إلى الأمراض المستوطنة بالمنطقة وهذا ما أدى إلى إنهيار ديموغرافي وتدهور الوضع الصحي، الذي أثر بدوره على الوضع الاجتماعي والاقتصادي للجزائريين.

ساهم الاستعمار الفرنسي في تفشي العديد من الأمراض البسيطة والتي أصبحت بسبب سياسته العشوائية والمقصودة أوبئة فتاكة من خلال مصادرة الأراضي والتهجير وحروب الإبادة وعدم اتخاذ إجراءات احترازية ناجحة حيث ساهمت لفترات بالسماح لأوبئة كالكوليرا والطاعون بحصد الآلاف من أرواح السكان عن طريق الاحتلال حيث كان يعطي لنفسه حق الانتفاع بالمستعمرة في ثرواتها وأيضا في استغلال شعوبها.

وعليه تعد ظاهرة تردي المستوى الصحي نتيجة لتدهور الوضع المعيشي للجزائريين في غياب أدنى المساعدات والإغاثات العمومية، لقد كان من المفروض أن تقدم الإدارة الفرنسية

إصلاحات لفائدة الجزائريين، غير أن الذي حدث هو مجرد وعود فقط كالتي صدرت عقب الحرب العالمية الأولى، ورغم ذلك لم يحدث أي تحسن صحي.

صحيح أنه من واجب الإدارة اتخاذ الاجراءات التي من شأنها المحافظة على الصحة العمومية للسكان بوقايتهم من أخطار الأوبئة والأمراض المعدية غير أن الإدارة المحلية الاستعمارية كانت تستعمل هذه الوسيلة لتطبيق أهداف تعسفية.

دو افع اختيار الموضوع:

لهذا الغرض توجهنا ’إلى اختيار موضوع الأوبئة والأمراض في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي 1830-1962م باعتباره جانب من جوانب تاريخنا الوطني وتاريخ الوجود الاستعماري الذي لم ينل حظه من الدراسة الوافية والشاملة من قبل الباحثين والدراسين، حيث تمثل هذه الأمراض والأوبئة محطة هامة من الاستعمار الفرنسي في الجزائر بصفة عامة والشعب الجزائري بصفة خاصة، ولعل ما دفعنا لتسليط الضوء على جوانب منه قصد إعطاء صورة واضحة حول الأوبئة والأمراض وعلاقتها بالمستعمر الفرنسي بالجزائر، إضافة إلى الرغبة من التعرف على مختلف الأمراض والأوبئة الفتاكة التي حلت ببلادنا خلال فترة الاستعمار الفرنسي، ومعرفة التغيرات التي طرأت على البنية الاجتماعية والاقتصادية في الجزائر.

أهمية الموضوع:

وفي هذا السياق نبرز أهمية موضوعنا هذا في إظهار جانب من هذا التشويه الذي طال تاريخ الجزائر من خلال هذه الدراسة وإظهار مدى مساهمة الاستعمار الفرنسي في ظهور بيئة غير صحية أدت إلى نزيف ديموغرافي في مختلف المراحل عكس ما كان يروج له من محاسن الطب الاستعماري وحملات التلقيح وإنشاء مستشفيات والشعارات الرنانة التي تمجد الحضور

الاستعماري باعتبار الخطاب الانساني والحضاري للمؤسسة الاستعمارية تمويه ضروري لأحكام القبضة السياسية للمحافظة على سيادة الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

ويظهر في بحثنا هذا تسبب الاستعمار في نقل الأوبئة من أوروبا إلى الجزائر ونشرها، أو استغلالها لتحقيق سياسته الاستعمارية المبنية على الإبادة وإفناء الشعب الجزائري، وأن هناك إمكانية تعمد الاستعمار الفرنسي في نقل الأوبئة ونشرها في الجزائر.

كما نحاول أن نبين من خلالها أمثلة من الأوبئة التي ساهمت في التوسع الاستعماري في إبادة عدد كبير من أفراد الشعب الجزائري، وانتشار البؤس والفقر بينهم.

إشكالية الموضوع:

إن الدراسات العلمية التاريخية والوطنية حول موضوع الأوبئة في الجزائر في العهد الاستعماري قليلة جدا ولا تتناول إلا جوانب معينة لذلك فالموضوع بحاجة ماسة إلى مزيد من البحث والدراسة والضرورة أشد لبيان أن الاستعمار الفرنسي لم يكن هدفه إنسانيا بحتا وإنما استعمل الأطباء والمستشفيات والمراكز الصحية الأخرى وسيلة للتغلغل بين السكان وكسب ودهم ورضاهم واحتواءهم.

تعتبر الجهود الفرنسية في مجال الأوبئة خلال الحقبة الاستعمار وبخصوص فتح المؤسسات الصحية والقضاء على الأوبئة والأمراض المنتشرة من الجوانب الصحية في تاريخ فرنسا الاستعمارية في الجزائر دون الإشارة إلى الأهداف البعيدة والغايات التي ترمي إليها من خلال أنشطتها الطبية ودون أن تعرج عن كيفية استغلال حركات ****** والدراسات الدينية لوضع السكان الصحي لنشر أفكارها وصرفهم عن عقيدتهم الإسلامية وبناءا على ما اطلعنا عليه حول هذا الموضوع وجمعنا من مادة وجدنا أن الإشكالية العامة للموضوع تتمحور حول الشكل التالي:

كيف أثرت الحالة الوبائية على الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي ؟

وتفرعت منها التساؤلات التالية:

- كيف كانت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للجزائريين قبيل الاحتلال الفرنسي؟

- ماهي أشهر الأوبئة والأمراض خلال الاحتلال الفرنسي؟

- كيف كان موقف إدارة الاحتلال الفرنسي من الوضع الصحي لسكان الجزائر؟ وماهي التنظيمات الصحية التي اعتمدتها للحد من انتشار هذه الأوبئة؟

المنهج المتبع:

سوف نحاول في هذه الدراسة الإلمام بجميع جوانب الموضوع معتمدين في ذلك على المنهج التاريخي التحليلي الإحصائي الذي يقوم على جمع المادة من أصولها التاريخية وتحليلها وتصنيفها وترتيبها، واستنتاج الحقائق منها وضمان أكبر نسبة من الدقة، والمنهج الإحصائي، للتتبع الكرونولوجي للأمراض والأوبئة، والمنهج الوصفي من خلال إعطاء صورة عن تلك الطرق والأساليب المتبعة في التلقيح.

حدود الدراسة :

أما سبب بداية الدراسة سنة 1830 الرغبة في إعطاء البحث نظرة شاملة وبعدا تاريخيا عميقا في المعالجة والتعرف على وقائع الأوبئة والأمراض إلى غاية 1962 أي الإحاطة بالمجال الزمني الدقيق بداية فترة الاحتلال وحتى نهايتها، وتسليط الضوء على كامل الفترة مما كان له التأثير المباشر على الأحوال الصحية للجزائريين.

أما عن الإطار المكاني للبحث فهو الجزائر

الخطة المتبعة:

حيث عالجنا هذا الموضوع وفقا للخطة التالية حيث تناولنا فيها ثلاث فصول:

الفصل الأول:

وهو عبارة عن فصل تمهيدي خاص بالوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي للجزائريين قبيل الاحتلال الفرنسي حيث تطرقنا فيه إلى:

* **الوضع السياسي:** حيث عالجنا فيه أهم مراحل الحكم العثماني في الجزائر إلى غاية نهايته ودخول الاحتلال الفرنسي إبتداءا من:

- عهد البايلربايات : 1518 – 1587

- عهد البشوات: 1587 – 1659

- عهد الأغوات: 1659 – 1671

- عهد الدايات: 1671 – 1830

* **الوضع الاقتصادي:**

ويتضمن:

القطاع الفلاحي: تكلمنا فيه عن القطاع التقليدي في الزراعة

القطاع الصناعي: الاقتصاد الخاص والاقتصاد الوطني العام

القطاع التجاري: تحدثنا فيه عن التجارة الداخلية وكذا الخارجية بين العثمانيين والدول الأوروبية

الوضع الاجتماعي: تطرقنا فيه إلى

- **عناصر تكوين المجتمع الجزائري:** حيث تكلمنا عن سكان المدن وسكان الأرياف

- **العادات والتقاليد** : تكلمنا عن اللغة، اللباس، الغذاء، الزواج، الأعياد

- **الطابع العمراني**: المباني والمساجد، الحمامات والقصور

أما بالنسبة للفصل الثاني تناولنا فيه أهم الأمراض والأوبئة التي تعرض لها سكان الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، بدءا من وباء الكوليرا، بالإضافة إلى الأوبئة الأخرى الجدري والتيفوس والطاعون وما خفي أعظم، أما الأمراض فسنتطرق لأسباب انتشارها وتأثيرها على السكان الجزائريين والأوروبيين أبرزها الحصى والأمراض الجلدية وأمراض العيون

أما الفصل الثالث: فسنسلط الضوء في هذا الفصل على موقف إدارة الاحتلال من انتشار الأوبئة والأمراض خاصة موقفها تجاه الجزائر بين الذي ساهم في تراجع الحالة الصحية للسكان المحليين مقارنة بمجهوداتها الموجهة لخدمة عساكرها والمستوطنين من خدمات تطعيم وتلقيح المحاجر الصحية وكذا الهياكل الصحية

واعتمدنا في دراستنا هذه على العديد من المراجع كان من أهمها :

- Compte rendu de service médical du L'ambulance Etablie Au HAMMA (prés d'alger) pendant l'épidémie cholérique de 1866

للكاتب الدكتور (Camille Gros) طبيب سابق في مستشفيات باريس ونائب أستاذ كراسي الطب في مدرسة الجزائر العاصمة ومساعد جراح بالمستشفى المدني وعضو مجلس النظافة والصرف الصحي وأمين عام لجمعية الطب، استفدنا من هذا الكتاب في عدة معلومات عن وباء الكوليرا عام 1866م حيث تكلم في كتابه عن سيارة الإسعاف العامة لاستقبال مرضى

الكوليرا في تقرير من الخدمة الطبية للإسعاف التي تأسست بالحامة بالقرب من الجزائر خلال عام 1866م.

- Collection de documents inédits sur L'histoire de l'Algérie après 1830

للكاتب (Gabriel Esouer) من جنسية فرنسية ولد في كونز 1876/04/12 مؤلف قديم منذ (1903) ومدير مكتبة الجزائر الوطنية ومدرس بكلية الآداب بالجزائر، أفادنا هذا الكتاب في بحثنا هذا في عدة معطيات تمثلت في عدة تقارير قدمها الحاكم العام لوزير الحرب في الجزائر من 14 أوت 1835 إلى 29 نوفمبر 1835 تمثلت في وباء الكوليرا في الجزائر وظهوره في مليانة قبل الجزائر بـ 01 أوت 1835 وأعطى إحصائيات لوباء الكوليرا في عدة ولايات.

وكتاب (الأوبئة والمجاعات في الجزائر) للدكتور "مصطفى الخياطي" حيث تناول الموضوع بنظرة ناقدة بمعدلات الأمراض والوفيات والتي اجتهد في تصحيحها بناءا على وثائق أرشيفية وإحصائيات ومصادر تفسر وتحلل انتشار الأوبئة خلال الحقبة الاستعمارية.

وأفادنا كتاب الأوبئة والمجاعات في الجزائر في الفصل الثاني في معرفة أنواع الأمراض المنتشرة في العهد الفرنسي.

كما الحال بالنسبة للفصل الثالث الخاص بالتطعيم، التلقيح والحجر الصحي.

وكتابه أيضا: "الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية" تناول فيه معلومات عن طرق التداوي وأهم المستشفيات إلا ما يعاب عليه تركيزه في كتاباته على الجوانب الطبية في حين أهمل الجوانب التاريخية إلى حد ما

صعوبات البحث:

أما فيما يتعلق بجمع المادة والمصادر والمراجع فقد واجهتنا عدة مشاكل منذ بداية البحث أولها قلة المعلومات التي تخص الموضوع والمشكل الثاني وهو كون المادة الأساسية متوفرة بالمكتبات وصعوبة الوصول إليها مثل مكتبة "Galica"

وكأي بحث علمي فإنه لا يخلو من صعوبات التي من شأنها أن تعرقل من تقدمنا في سبيل إتمام بحثنا

ومن الصعوبات التي واجهتنا ما يلي :

* قلة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع باعتباره من المواضيع القليلة الاستهلاك خاصة على مستوى كليتنا

* صعوبة التعامل مع المادة العلمية خاصة الأجنبية

* شساعة الفترة الزمنية 1830م وحتى 1962م وكذا المكانية حيث تشمل كل مناطق الجزائر

* معظم ما تضمنته المصادر من معلومات فيما يخص موضوعنا قليل لا يتعدى كونه فقرات إذا ما قارناه بمواضيع أخرى وهذا ما يطرح أمامنا إشكالية الربط بين مختلف الفقرات التي تم تجميعها من مصادر مختلفة.

* قلة المادة العلمية في الجانب الاجتماعي مقارنة بالسياسي والعسكري.

* صعوبة التنسيق بين الأعضاء نظرا للظرف الصحي الوبائي السيء المصاحب لفترة إعدادنا للدراسة.

الفصل الأول

- الأوضاع السياسية
- الأوضاع الاقتصادية
- الأوضاع الاجتماعية

الأوضاع السياسية:

خضعت الجزائر للحكم العثماني ما يقارب ثلاثة قرون أي من 1518 تاريخ الإعلان الرسمي لانضمام الجزائر إلى السلطة العثمانية إلى غاية 1830 تاريخ الاحتلال الفرنسي ونهاية الحكم العثماني في الجزائر حيث عاشت الجزائر أربعة مراحل متباينة:[1]

1/ عهد البايلربايات 1587/1518م

2/ عهج البشوات 1587/ 1659م

3- عهد الأغوات 1671/1659 م

4/ عهد الدايات 1830/1671 م

يعد العهد الأول من أزهى عهود الحكم العثماني في الجزائر، إذ تميز بكثرة الأعمال العثمانية والإدارة السليمة وتنظيم البحرية أيام حكم السلاطين العثمانيين وكانت السلطة في البلاد بيد رياس البحر وفئة اليولداش ومن أبرز آثاره توحيد الجزائر سياسيا[2]، تم التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية ولقب خير الدين بلقب البايلرباي أي باي البايات أو "خير الدين بيك" وأصبحت الجزائر إحدى ولايات الخلافة مما أكسبها قوة في الداخل والخارج لأن تلك الفترة التي امتازت فيها بالتفوق إنها تمثل عهد الأتراك الأمجاد وعهد البطولات والانتصارات السياسية المرتبطة بها[3]

أما العهد الثاني أي فترة حكم الباشوات والتي امتدت من سنة 1588م إلى سنة 1659 وحددت مدة حكم الباشا بثلاث سنوات[4]

[1]- حمودي هدى، مصباحي حيزية: الأمراض والأوبئة في الجزائر أواخر العهد العثماني (1770-1830م)، مذكرة ماستر، جامعة أكلي محند أولحاج، بويرة، 2018، ص5.

[2]- مؤيد محمود حمد المشهراني م،م سلوان رشيد رمضان، 2013، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518-1830م)، مجلة علمية محكمة، جامعة تكرت العدد 16، ص 418.

[3]- صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر- من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين 814ق.م، 1962م- دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2002، ص 81

[4]- بوحجرة عثمان، الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني (1519/1830م) –مقاربة اجتماعية-، مذكرة ماجستير، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2015، ص 18.

فقد كان على رأس الدولة والٍ تعينه الحكومة العثمانية وتمنح له لقب "الباشا" وتميز بازدهار القوة البرية [1] الجزائرية وسمحت الحكومة العثمانية لتحول الامتيازات الأجنبية إلى الأراضي الجزائرية وفي عهد الأغوات استأثر اليولداش بالحكم وانتخبوا آغا لمدة شهرين لم يستبدل بغيره وتميز العهد بالمحاولات لفصل الجزائر عن الحكم العثماني[2]

وفترة الأغوات القصيرة تميزت بالفوضى والاضطراب أما فترة الدايات التي بدأت سنة 1671م وامتدت إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر وتميزت باستقلالها السياسي الفعلي عن سلطة الباب العالي لقد تميزت هذه المحطة بانخفاض المستوى الثقافي بحكم الأزمات السياسية والاجتماعية وعدم الاستقرار وتغيرت نسبة المجتمع بظهور أزمات ديموغرافية وتفشي الأمراض والأوبئة فاختر الوضع الصحي وأصبح الطب[3] حرفة العصر وانفتح المجال وظهرت ممارسة الطب وكأنها مزيج من تقاليد فوجد الطبيب والراقي والحلاق والجراح والعشاب كل له رؤيته وخبرة وما تحصله من علم أورثه من أجداده فظهر الطب التقليدي أو الطب الشعبي وعرف الطب بعض الدخلاء على المهنة الذين استغلوا العامة ليعرضوا خدماتهم في السوق فامتهن الحلاق مهنة الطبيب وعمت الخرافات والاعتقادات خاصة في الصحة[4] النفسية وأصبحت مقابر الأولياء الصالحين مقصد بعض الناس خاصة الذين كانوا يعانون من أمراض مزمنة استعصت على العلاج [5] وتمثل عهد الدايات بعودة رياس البحر الذين تغلبوا على اليولداش وأقاموا حكما جديدا وهو نظام الدايات وذلك بانتخاب داي للحكم يحكم البلاد من قبل المجلس على أن يستمر بالعمل مدى الحياة لحين سقوط الجزائر بيد فرنسا سنة 1830م[6]، كان حكم الدايات أن ينتخبوا في أول الأمر من طائفة الرياس (1671-1689م) ثم استرجع الأوجات نفوذهم فأصبح الداي يختار من بين ضباط الانكشارية مما أعطى الإيالة الجزائرية نظاما حكوميا تشبها بالحكم الجمهوري يمارس فيه الداي سلطة شبه مطلقة في مجال جمع

[1]- مؤيد محمود حمد المشهداني م.م سلوان رشيد رمضان، المرجع السابق، ص 418.
[2]- نفسه، ص 419.
[3]- بوحجرة عثمان، المرجع السابق، ص 18
[4]- نفسه، ص 18.
[5]- بوحجرة عثمان، المرجع السابق،ص 18.
[6]- مؤيد محمود حمد المشهداني، م.م سلوان رشيد رمضان، المرجع السابق، ص 419.

الضرائب وحفظ الأمن الداخلي وتعززت سلطة الداي بعد الغاء منصب الباشا (مبعوث السلطات الشرفي سنة 1711) [1]وتدهور نفوذ الديوانيين. الديوان الصغير وحل محله مجلس الموظفين الكبار (مجلس الحكومة أو الدولة) والديوان الكبير المجلس العام) حدد نشاطه مثل حفلات توزيع الأجور التي كانت تقام كل شهرين في قصر الداي، الداي كان يختاره مجلس الأوجاق مكون من ثلاث موظفين (الخزناج).

أي موظفين كانوا يديرون أعمال الإيالة فهم على طبقيتن:

الطبقة الأولى تضم الداي والموظفين:

1- **الخزناجي**: وهو المختص بالإشراف على الخزينة واتباع مصادر دخل العملة بشكل نفوذ ومقتنيات ثمينة يساعده كاتب الدولة وأمين السكة فقط عن أجير من اليهود أحدهما يدعى العيار للتحقق من النقود المشكوك فيها والثاني الوزان لوزن أنواع النقود التي يتسلمها.
2- **بيت المالجي:** وهو المشرف على مصلحة الأملاك وصيانة المقابر والثروات التي تؤول إلى الدولة بعد موت أصحابها أو استعادتهم أو فقدانهم أو في حالة عدم وجود لورثة شرعيين لهم تعاونه في تلك المهمة قاض يعرف باسم الوكيل.[2]
3- **حوجة الخيل:** وهو الموظف الذي يدير أملاك البايلك ويشرف على مواثيق الدولة التي تقدمها الأهالي كضرائب عينية تفرض عليهم كذلك، يقوم بالإشراف على تجنيد الفرسان المتعاونين مع السلطة المركزة.
4- **وكيل الحرج:** هو موظف سامي يراقب النشاط البحري وأعمال الترسانة البحري على تهيئة عتاد الحروب وتوزيع غنائم البحر ويمتد نشاطه إلى الشؤون الخارجية مما يعطي لله صلاحيات وزير البحرية والمسؤول عن العلاقات الخارجين في آن واحد[3]

[1]- نصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، (1792-1830م)، ط3، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص24.
[2]- مؤيد محمد حمد المشهداني، م.م سلوان رشيد رمضان، ص 419.
[3]- مراح فاطمة، حازم سمية، الأوضاع السياسية والاجتماعية لمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني، 1766-1830م، شهادة ماستر، جامعة الجيلاني بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، 2017، ص26.

5- **آغا العرب:** قائد فرقة الانكشارية وفرسان المخزن الصبائحية المعسكرين خارج مدينة الجزائر وهو من يقوم بمراقبة دار السلطان وملحقاته ومعروفة بوفرة إنتاجها الزراعي والحيواني الذي تعتمد عليه الجزائر، أما الطبقة الثانية من الموظفين فقد شملت المساعدين مثل كتاب الدولة، وموظفي الخدمات الاقتصادية والاجتماعية ورجال حفظ الأمن والاشراف على تطبيق القوانين والأحكام المعمول بها والاشراف على الديوان المحلي لكل من الأقاليم[1]

وكانت فئات المواطنين كالآتي:

فئات الموظفين	نوع الخدمات التي كان يؤديها كل موظف
الكتاب 4 الكبار (خوجا باشي)	الكاتب 1: المكتباجي الكاتب 2: الدفتر دار أو وكيل الحرج الصغير الكاتب 3: وكيل الحرج الصغير الكاتب 4: كاتب عام
الأغوات مالقيام	الأغوات (منهم ال****** أو الباشي، بلوك باشي) أو آغا الهلالي يصبح معزول آغا القياد بالبوادي بعضهم بالمدن كقائد الشوارع وقائد العبيد، حكام المدن
البايات ومساعدوهم	كل باي ساعده ديوان محلي أهم أعضاءه: - الخليفة – الباش خزناجي، آغا السائدة، خوخة الخيل، الباسا كالحب13
جماعات الخوجات	خوجة القصر – خوجة ال****، خوجة الغنائم، خوجة الرحبة، خوجة مخزن الزرع، خوجة العيون، خوجة أبواب المدينة، خوجات المنازل والدكاكين والحدائق، خوجة الملح، خوجة الجلد، خوجة الفحم
موظفو الخدمات الاجتماعية والاقتصادية	شيخ البلد، المحتسب، المزوار
جماعة الخدم والشواش	الطباخون: كبيرهم أشجي باشي الشواش: كبيرهم باشي شاوش آغا العزرة الدلال والبراح

[1]- مؤيد محمود المشهداني، م.م سلوان رشيد رمضان، ص 420.

تأثر الموظفين بالأوضاع التي كانت سائدة في الإدارة الجزائرية والتي ترتكز على تقسيم **** الأقاليم الإدارية التالية: [1]

1- دار السلطان: هي المنطقة الواقعة بين دلس شرقا وشرشال غربا ومن البحر المتوسط إلى سفوح البليدة جنوبا ترتكز في هذا الإقليم معظم مؤسسات الدولة ويحكمها الباي.

2- بايلك الغرب: عرف تغيير المكان عاصمته ثلاث مرات من مازونة إلى معسكر ومن هذه الأخيرة إلى وهران كما قسم إلى ثلاث قيادات يحكم اثنين منهما آغايين أما الثالثة فيحكمها خليفة.

3- بايلك التيطري: وهو أصغر البايلكات عاصمته المدية عدد قبائلها ثابت وتقع في **** الأوسط وأما الثالثة فتقع حول سور الغزلان وتضم قايد الظهرة وللباي سلطة نظرية على قبائل الرحل في الجنوب رغم خلو هذا الأخير من مؤسسات الدولة[2]

4- بايلك الشرق: كانت قسنطينة وحكم الأتراك أغلب نواحيه جبلية وصحراوية من طريق الرؤساء المحليين أما الأراضي السهلية[3]

ومن الظروف السياسية التي عرفتها إيالة الجزائر أواخر العهد العثماني ما يلي: [4]

- إقصاء الجزائريين من الحكم والانضمام في الجيش وعدم تقلدهم أي منصب في الإدارة العثمانية حيث سيطر الأتراك على مقاليد كل من الإدارة وهذا من أجل الحفاظ على امتيازاتهم داخل الجزائر ومارسوا سياسة العزلة عن السكان الأصليين.

- الصراع بين الجيش الانكشاري والرياس، اتبعت طائفة الانكشارية سياسة التهدئة وهذا بعد انعزالهم عن تقلد مناصب السلطة في الجزائر فترة من الزمن والترقب من بعيد لاستغلال أي فرصة للظهور من جديد على الساحة السياسية ولكن ما يميز عهد الدايات أهم من طائفة

[1]- نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق،ص 28.
[2]- محمود علاني، دراسة في تاريخ الجزائر المعاصر خلال القرنين 19-20، الجزائر، ص9.
[3]- نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 29.
[4]- حمودي هدى، مصباحي حيزية، المرجع السابق، ص5.

رياس البحر هو توتر العلاقات مع دول أوروبا، هذا أضعف سلطة الرياس وكان هذا لصالح الجيش الانكشاري[1]

وكان القتل والاغتيال والثورة الوسيلة الوحيدة التي تستعملها القوى المعارضة لتصفية حساباتها وبالتالي عاش النظام في الجزائر منعزل وبعيدا كل البعد عن هموم الناس ومشاكلهم، ولدت عملية تهميش العنصر المحلي قطيعة بينه وبين الحكام الأتراك العثمانيين تجلت في العدد من الثورات ذات الطابع السياسي[2]

تم تهميش السكان المحليين من الممارسة السياسية وتولي المناصب العليا خاصة الطبقة المتعلمة والأعيان[3] ومن أبرز مظاهر هذا التهميش تهميش ذوي الأصول الجزائرية في تمثيل حكومة لدى القوى الأوروبية كالسفراء أو مبعوثين في مهام خاصة وكل ما يتعلق [4]بالباب العالي واقتصرت الأدوار على العنصر العثماني التركيب، أو من لهم صلة الدم بهم كالكراغلة مثل سفارة كينان آغا إلى فرنسا 1620.[5]

- تزايد دور الكراغلة بشكل ملحوظ في أواخر العهد العثماني وشاركوا في الكثير من الأحداث وخاصة بعد تراجع دور فرصة الانكشارية ففي عام 1808 منعوا جنود الأوجاق من نهب بعض أحياء مدينة الجزائر وفي عام 1813 أفشلوا محاولة الداي الحاج علي (1809-1815) للتخلص منهم كما وقفوا إلى جانب الداي خوجة (1817-1818) عام 1817 للقضاء على تمرد الانكشارية.[6]

[1]- نفسه، ص 6
[2]- حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ص1، دار هدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 10.
[3]- نفسه، ص 11
[4]- نفسه، ص12
[5]- حنيفي هلايلي، المرجع السابق،ص 12.
[6]- نفسه، ص14

الثورات والاغتيالات:

شهدت الجزائر أواخر الحكم العثماني عدة كوارث وتمردات نذكر منها:

1-ثورة إبن الأحرض في الشرق الجزائري: قسنطينة كان يزعم أنه من شرفاء فاس، كان يمارس القرصنة في جيجل وقام بعدة عمليات ضد السفن الفرنسية التي كانت تستعمل لصيد المرجان كما تمكن من اخضاع مدينة جيجل وقام بعد انسحاب الحامية العثمانية منها وقام بشن هجوم على قسنطينة 1804 حيث تمكن من هزيمة الباي عصمان وقتله، ولما وصلت هذه الأخبار إلى الداي مصطفى باشا، 1798-1805، أمر رجاله بالقضاء على ثورة ابن الأحرش والتخلص منه ونجحوا في القضاء على ثورته 1806 في نواحي بجاية[1] وأصيب بالرصاص في فخذه فتكسرت لكن حاله لازال مجتمعا غير متشتت[2] وبعد مدة قتل على يد إبن الشريين الدرقاوي لما استنجد [3]

ثورة ابن الشريف الدرقاوي في الغرب الجزائري (1805-1515): أظهر الزهد والصلاح وقد صدقه الناس وقاموا بنصرته فكثر اتباعه من القبائل الصحراوية وتوالت عليه الهبات والعطايا وكانوا السكان يشكون إليه مظالم العثمانيين لهم وكان يعدهم بالفرج القريب، وهذا ما شجعه لتهديد العثمانيين في الغرب الجزائري، حقق الدرقاوي انتصار على الباي العثماني بفرطاسة وهذا ما جعله يواصل مهاجمته للأتراك بوهران إلا أنه لم يستطع وهزم هزيمة شنعاء ففر معه قلة من جيشه وخلفت هذه الثورة الكثير من الخسائر المادية والبشرية والاقتصادية وراح ضحيتها ابن هطال التلمساني[4]

الاغتيالات: الحديث عن الوضع السياسي في الجزائر العثمانية يعتبر موضوع حساس خاصة مع بداية القرن 18 وهذا لما حمله من اضطرابات داخلية عصفت بقواعد النظام الحاكم،

[1]- حمودي هدى، مصباحي حيزية، المرجع السابق، ص6.
[2]- الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في إخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن ال19، تح ودراسة يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص301
[3]- حمودي هدى، مصباحي حيزية، المرجع السابق، ص301.
[4]- حمودي هدى، مصباحي حيزية، المرجع السابق، ص7.

فقد شهدت إيالة الجزائر تعاقب عدة دايات على الحكم وقد عرفت حدوث اغتيالات في أوسطهم من أجل الوصول إلى كرسي السلطة، حيث اغتيل ستة دايات من مجموع ثمان دايات وهم:

الداي مصطفى باشا 1805، الداي أحمد1808، الداي علي العستال 1809، الداي الحاج علي 1809، والداي محمد 1814 والداي عمر آغا 1817، وعمر باشا حيث لم يتجاوز فترة حكم بعض الدايات بضعة شهور حتى أنهم كانوا يدفنون بدون إقامة المراسيم بالمقابر الواقعة خارج باب الواد.

كيفية اغتيال الدايات:

1- **قتل الداي مصطفى (1805/1798)**المتعامل مع كبار التجار اليهود وذلك يوم 30 أوت 1805م[1] من طرف بعض العساكر وهذا في زنقة قرت الزناكي وقاموا بعد ذلك باستخدام أحمد خوجة وأدخلوه دار الامارة.

2- **الداي أحمد خوجة (1805/1808م)** لقد كانت نهاية هذا بتدبير أحد قادة الانكشارية وقد تمت تصفيته يوم الاثنين 15 رمضان أي نوفمبر 1808م وموته [2]

3- **الداي علي خوجة الملقب بالغسال (1808م)** وقد تم قتله إثر ارتكابه خطأ في سوء اختياره لخوجة الخيل وقتل يوم 4 مارس 1809[3]

4- **الداي علي الحاج باشا الخزناجي**[4] **(1815/1809)**، يقول أحمد الشريف الزهار أغمي عليه ودخل عليه[5] وكيل الحرب وقتله.

[1]- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، 1997، ص 75.
[2]- حمودي هدى، مصباحي حيزية، المرجع السابق، ص7.
[3]- المرجع السابق، ص8
[4]- الخزناجي: وهو بمثابة وزير المالية حيث كان مسؤولا عن خزينة الدولة والأملاك ان يفتح الخزينة إلا بحضوره لأنه هو الوحيد الذي يحتفظ بمفاتيح الخزينة العام
[5]- حمودي هدى، مصباحي حيزية، المرجع السابق، ص8.

5- الداي محمد الخزناجي (1515): قتل بعد أيام من توليه الحكم ويشاع أن الآغا عمر وراء تدبير موته.

6- الداي عمر (1815-1817): توفي يوم 8 سبتمبر 1817 على يد الانكشارية بعد تذمرهم من حملته اللورد الحسماوي [1]

بالرغم من عدم وجود أي إحصائيات رسمية عن سكان القطر الجزائري في العهد العثماني أي كان عدد السكان يتراوح بين ثلاث ملايين ونصف مليون نسمة 3% منهم يعيشون في المدن، و95% منهم يعيشون في الريف ، بسبب تدهور الأوضاع السياسية [2] وهذا التدهور السياسي سببه التحالف بين الدول الأوروبية ضد الجزائر وإجبارها على عدم مهاجمة السفن الحربية والتجارية للدول الأوروبية التي تمر بالبحر الأبيض المتوسط وهذا أثر سلبا على الوضع المالي والسياسي للجزائر.

- سوء تصرفات الداي مع قناصل الدول الأوروبية في الجزائر وتلهفه على المال ومعاناة خزينة الدولة من غلاء المواد المجهزة وبخس أثمان المواد الأولية المصدرة.

- صعوبة تنمية الموارد الداخلية للبلاد، انهيار الأسطول البحري فقد نتج عنها انتشار المجاعة والأمراض وبعدد الانتفاضات الشعبية والاغتيالات ولهذه الأسباب تمكن الجيش الفرنسي من محاصرة الجزائر واحتلال سيدي فرج يوم 14 جوان والاستيلاء على العاصمة يوم 5 جويلية 1830.[3]

[1]- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الاسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، 1997، ص65.
[2]- عمار بوحوش، المرجع السابق، ص78.
[3]- نفسه، ص 79.

الأوضاع الاقتصادية في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي:

بعد استعمار دام 132 سنة، رحل تاركا وراءه خرابا اقتصاديا على جميع المستويات، حيث اعتمد الاقتصاد الجزائري وبشكل أساسي على الزراعة والرعي والتجارة وإذا كان مجمل النشاطات الاقتصادية الجزائرية موجهة لخدمة الاقتصاد الفرنسي والمستهلك الفرنسي في الوقت الذي كان النظام الزراعي الجزائري قبل الاحتلال نظاما شبه إقطاعي وقبلي إلا أن هذا النظام كان قادرا وبشكل أو بآخر على سد حاجة المزارع وحاجة أسرته من انتاج الأرض، حيث ترتب عن الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر خلال فترة 1830-1962م تشوهات في الهيكل الاقتصادي وكان ذلك على النحو الآتي:

1/ الزراعة:

الجزائر بلد زراعي هذه الحقيقة قديمة لا تحتاج إلى تدعيم ولكن الجديد في الأمر هو أن مؤرخي الاستعمار يدعون بأن المعمرين الفرنسيين الذين استصلحوا الأراضي وصيروا تربتها طيبة، إن هؤلاء المؤرخين يتناسون أو يتجاهلون ما ورد في تقرير السيد "تادنة" الذي قدمه للسلطات الامبراطورية الفرنسية في أيام عزها والذي جاء فيه أن مناخ الجزائر جميل وأرضها طيبة توجد بها مزارع شاسعة وسهول فسيحة تكثر فيها منتوجات أمريكا والهند كما تنتج كمية كبيرة من القمح والشعير والصوف والجلد والشموع أما مراعيها تفتخر بأنواع الحيوانات مثل (الأبقار، الأغنام، الماعز، البغال، الحمير الممتازة)[1]

إن خصوبة الأرض الجزائرية لا شك فيها وقرب هذه القارة من فرنسا أمر بديهي كما استسلام سكان مدينة الجزائر لا يخفى على أحد.[2]

تعد السياسة الفلاحية من مميزات السياسة الأوروبية العامة المتبعة في الجزائر وكان أساسها الأرض والاستيطان[1] وبفعل عمليات الاغتصاب تحول الفلاحون الجزائريون الذين كانوا قبل

[1]- العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العربي، 1999، ص17.
[2]- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق وتع وتح د.محمد العربي الزبيري، سلسلة التراث، الجزائر، 2005، ص272.

الاحتلال يمثلون الأغلبية الساحقة من السكان إلى مجرد خماسين أو إجراء موسمين أو إلى أناس عاطلين تماما عن العمل يعيشون من التسول أو من الأعشاب والنباتات التي تجود بها الطبيعة[2].

تمارس الفلاحة بالمحراث الخشبي وعضلات الحيوانات كالثيران والأحصنة والبغال والحمير في المناطق المنبسطة والشبه منبسطة بالفأس وعضلات الانسان في المناطق الجبلية الوعرة شديدة الانحدار ويستغل المنجل اليدوي في الحصاد والهدرة والحيوانات في الدرس والتصفية[3]

ويعتمد في تسميد التربة على فضلات الحيوانات وبقايا الحشائش وجذورها وأوراقها اليابسة وتفلح الأرض سنة وتترك للراحة في السنة الموالية لتستغل في الأعشاب والحشائش للحيوانات[4]

إن الكارثة التي أودت بحياة 500.000 من الأهالي أي بالخمس تقريبا من عدد السكان في ذلك الوقت، هذه الكارثة وقعت في الأراضي الخصبة وأراضي الشمل القديمة قبل أن تمسها الاجراءات المتخذة في 1863-1865 ورغم هول الكارثة فإن احتياطي المعمرين من الحبوب لم ينقص منه شيء كما أن مستودعاتهم كانت عامرة بالقمح ولم يخطر ببال أحد الرسميين أو من الخواص أن يبذل يد المساعدة للجائعين وذلك أن هؤلاء الأجانب كانو مبتهجين لاحتمال انقراض السكان بهذه الطريقة البسيطة.[5]

أتت الانعكاسات الأولى للقانون الخطير الذي كان يهدف إلى تفكيك أراضي الشمال الجزائرية وكذلك انعكاسات القوانين التي صدرت منذ 1844، أدت انعكاساتها إلى وقوع المجاعة دامت حوالي سنة فهلك فيها ما لم يسبق له مثيل في تاريخ الجزائر وهذا أمر لا يستغرب لأن الملكية أصبحت تنتهك وتغتصب بمختلف الصور والأشكال من طرف المعمرين وأصحاب الربا

[1]- عمراوي أحميدة وآخرون، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري 1954/1830، بد ط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1654، الجزائر، 2007، ص39.
[2]- العربي الزبيري، مرجع سابق، ص17.
[3]- يحي بوعزيز، تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية والوطنية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 399
[4]- يحي بوعزيز، نفسه، ص399
[5]- مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر حنفي عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص15

والاحتكار، كما أنها تعرضت للتجزئة العقارية مما كان له أسوء أثر في الحياة الاقتصادية الزراعية وفي ظروف الفلاحين المعاشية.[1]

صحيح أن الجزائر عرفت في الفترة المذكورة تطورا ديموغرافيا خطيرا ومرت بأزمات اقتصادية تسببت بمجاعة السكان الجزائريين مرات عديدة، لكن ذلك كلله لا يشكل سوى عامل مساعد على توعيه الجماهير الشعبية بالواقع الذي فرضته عليها الاستعمار[2]، مثل هذه الامراض والاوبئة التي اصابت الجزائر كانت سببا مباشرا في الركود التجاري والصناعي بالمدينة كما أنها تملك عددا من الصناع والتجار وترك السوق مفتوحة للتجار الأجانب لتصدير الانتاج المحلي[3]، كان أكثر من ثلثي هؤلاء السكان يعيشون في مرحلة الاقتصاد المعيشي قبل الرأسمالي والحال أن هذه الطبقة الفلاحية التقليدية الضخمة لم تكن لديها محاصيل ولا موانئ بكمية كافية والمتوسط السنوي من إنتاج الحبوب الاجمالي ان 19.6 مليون كنتال بين عامي 1901-1910 ثم إلى 16 مليون بين عامي 1921-1930 وإلى 14 مليون بين عامي 1948-1953 وماشية الغنم وسطيا وإنتاج زيت الزيتون الذي كان أيضا وسطيا.[4]

قل عدد المزارعين الذين يرتحلون إلى الجزائر بعد الحرب الكونية الأولى بينما ارتفع عدد العمال والتجار ورجال الأعمال وموظفي الحكومة وعمالها وتعزى هذه الظاهرة إلى التأليبة المستمرة للزراعة بعد عام 1920 من ناحية وإلى تناقض مساحات الأراضي الصالحة للزراعة من ناحية أخرى [5] وتعليل هذا التقهقر العام رجع إلى أسباب اقتصادية وإلى نقصان المساحة المملوكة (7562977 هكتار ف يعام 1930 – 7349100 هكتار في 1950) التي يزرعها المسمون والتي تجزأت باستمرار وكساد المردود وتخريب التربة.[6]

[1]- مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، مرجع سابق، ص15
[2]- العربي الزبيري، مرجع سابق، ص 22
[3]- محمد الزين، نظرة عن الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية أواخر عهد الدايات، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 17، 2012، ص 132.
[4]- شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر عيسى عصفور، ط1، منشورات عويدات، باريس، 1982، ص 129.
[5]- جوان غيليبسي، الجزائر الثائرة، ط1، تع خيري حماد، دار الطليعة، بيروت، 1961، ص ص 18-19.
[6]- شارل روبر آجرون، مرجع سابق، ص135

وما كاد الاحتفال بمرور قرن على الاحتلال حتى فقدت الجزائر قدرتها على تحقيق الاكتفاء الغذائي الذاتي وتحولت من منتج للحبوب ومصدر لها إلى بلد مضطر إلى استيراد المواد الغذائية الضرورية لحاجات سكانه.[1]

ويمكن القول أن مجموع مساحة الأراضي الزراعية في الجزائر كانت في عام 1940 تقدر بـ 10 ملايين هكتار استولى المستوطنون الفرنسيون على 2.7 من مليون هكتار أي بنسبة 27% منها إلى جانب أن الكثير منهم كانوا يمارسون أعمالا أخرى من صناعة وتعدين وتجارة أما الباقي فيملكها جزائريون وهي أراضي قليلة الخصوبة والانتاج.[2]

كانت الجزائر تبدو في عام 1954 مرتعا للصعوبات لا حول لها من احتكار الأقلية للأرض وضعف الاستثمارات وفقدان أن السوق الداخلية، وانعدام أية سياسة اقتصادية للمستقبل كل ذلك كان يجعل الناس يتوقعون تفاقم هذه الأزمة التي جعلها أكثر مأساوية بعد ازدياد السكان المسلمين السريع وتدهور مستوى عيشهم.[3]

وعلى هذا الأساس فإن سنة 1954 قد وجدت الفلاحة متقهقرة بالنسبة لما كانت عليه قبل الغزو وإن تعسفات الاستعمار وعمليات الاغتصاب التي قام بها والتي تعرضت لها كافة أنحاء الوطن وكذلك روح المستعمرين الانتهازية الاستغلالية كل ذلك أبعد الجزائريين الفلاحين عن التسيير في مجال الزراعة، بهدف تزويد الفلاحين الفرنسيين بما يحتاجون إليه لتحسين منتوجاتهم ولتنمية طاقاتهم الانتاجية من جهة ثانية.[4]

2/ الصناعة:

لقد تميز الاقتصاد الجزائري في غداة الاستقلال بارتباطه التام بالخارج وعلى وجه الخصوص بفرنسا وكان المستعمر يهدف إلى عدم السماح بإقامة صناعة وطنية متطورة وإبقاءها كمصدر

[1]- العربي الزبيري، مرجع سابق، ص18.
[2]- مساعد أسامة صاحب منعم، الأوضاع الاقتصادية العامة للجزائر في ظل الإدارة الفرنسية 1830-1962 ومحاولات البحث عن النفط قبل الاستقلال، مجلة مركز نايل للدراسات الانسانية، المجلد 04، العدد 03، ص 224.
[3]- روبير أجرون، نفسه، ص ص 137-138
[4]- العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ص 19.

للمواد الخام لتلبية حاجات البلدان المتقدمة حيث أدى ذلك إلى انهيار الصناعات اليدوية المحلية نتيجة عدم قدرتها على منافسة المنتجات الصناعية اليدوية المحلية نتيجة عدم قدرتها على منافسة المنتجات الصناعية الفرنسية.[1]

قبل الاحتلال كانت أكثر تقدما وأحسن تنظيما تشهد بذلك مختلف المصادر التي تجمع أن الحرفيين في الجزائر كانوا يجمعون في نقابات تحسب التخصص بحيث تجد النجارين في الشارع والحدادين في آخر والشواشين في الثالث والصباغين في الرابع والدباغين في الخامس.

بعد الغزو بالتدريج أهملت الصناعة في الجزائر لتخصص البلاد شأن جميع بلدان العالم الثالث من تصدير مواد أولية ما كادت الثورة تندلع حتى اختفت صناعاتنا التقليدية وصارت الجزائر تستورد كل شيء تقريبا.[2]

كانت تتميز هذه الفترة بالبساطة وقلة التنوع واقتصرت ف يأغلبها على المنتوجات نظرا لوفرة المادة الخام كالصوف والحرير وكانت لكل منطقة صناعاتها الخاصة ومن بين أهم هذه الصناعات:

- صناعة مستلزمات الصناعة والبناء.
- صناعة دباغة الجلود والأحذية والحقائب...الخ.
- صناعة النسيج كالطوافي الصيفية والشتوية والجوارب الصوفية والقطنية.
- صناعة الحدادة ومعالجة المعادن والأسلحة وتجهيز البارود.
- صناعة الجلود كانت رائجة في المدن والبوادي وتستعمل الجلود في المعالجة في صناعة السروج والأغمدة.
- صناعة الخشب وبناء السفن كانت تعتمد هذه الأخيرة على الأخشاب المحلية التي تصنع منها غالبا الأدوات المنزلية مثل الخزائن والصناديق والأبواب.

[1]- مخضار سليم، دارسة تحليلية تنافسية القطاع الصناعي في الجزائر مقارنة ببعض الدول العربية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية، تخصص بحوث العمليات وتسيير المؤسسات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2018.2017، ص102.
[2]- الزبيري، المرجع نفسه، ص ص 19-20

- صناعة المجوهرات والحلي وتخص المجوهرات الذهبية والفضية.
- صناعة مستحضرات التجميل والعقاقير وتخص تقطير ماء الورود والزهور.[1]

وفي مستوى آخر طبقت فرنسا سياسة عدم تصنيع المستعمرة فقضت تلك السياسة الاستعمارية على الصناعات التي كانت مزدهرة في الجزائر عندما فتحت الأبواب على مصراعيها للبضاعة والسلع الفرنسية المصنوعة إذ تعرضت إلى ظروف منافسة ظالمة أدت في نهايتها إلى موتها البطيء وبقاء البضائع الفرنسية المحتكرة للسوق الجزائرية ، كما أخذت فرنسا وكدولة استعمارية تركز اهتمامها على عملية استخراج المواد المعدنية وانتاج كل ما يمكن أن يفيد الصناعة الفرنسية كمواد خام أو مواد أولية لتلك الصناعة فقامت بحفر المناجم مثل مناجم الحديد والفوسفات، وربطها بخطوط سكك حديدية إلى الساحل ليتسنى لها تصديرها إلى الأسواق الفرنسية في حين بقيت اهتمامات الجزائريين أمام هذا الوضع الصعب باتجاه تأمين الغذاء والسكن بحدودهما الدنيا وإذا ما أردنا أن نركز على مدى مساهمة الصناعة المحلية والحرف في ا لجزائر في الدخل الوطني فإنها مساهمة ضئيلة لا تتعدى نسبة 10% في عام 1955.[2]

3/ التجارة:

لم يكن الوضع بأفضل حال في النشاط الاقتصادي الآخر وهو التجارة وذلك بسبب سيطرة المستوطنين الفرنسيين على مجمل النشاطات التجارية في الجزائر وذلك من خلال سيطرتهم على السوق الداخلية الجزائرية وتصديرهم لرؤوس الأموال الفائضة عن التجارة وأرباحها إلى فرنسا ولقد بدأ تنفيذ الهدف الأول لم السيطرة على السوق الداخلية الجزائرية عن طريق إصدار القوانين التي وحدت الجزائر مع فرنسا مركبا في عام 1851-1867 والتي كان الهدف منها عزل الجزائر تجاريا [3].

[1]- ساعد محمد، محاضرات لمقياس الاقتصاد الجزائري، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2018/2017، ص ص 3-4.
[2]- مساعد أسامة صاحب منعم، مرجع سابق، ص 228
[3]- نفسه ، ص 226

إن أغلب النشاطات التجارية كانت متمركزة في المدن وسكان الأرياف تنظم داخل الأسواق الأسبوعية يتم فيها تبادل السلع بالنقود أو المقايضة أو من أسواق مدينة الجزائر منها باب عزوز [1]، ويقدر ما أنهك الاستعمار صناعتنا قبل أن يقضي عليها فإنه حنق التجارة الخارجية التي كانت هي الأخرى مزدهرة قبل الغزو الفرنسي قد يبدوا قولنا هذا مجرد إدعاء ولكن المصادر على اختلاف لغاتها تثبت أن الجزائر قبل الاحتلال كانت تقيم علاقات تجارية مكثفة مع إفريقيا جنوب الصحراء ومع البلاد العربية وأوروبا الغربية خاصة، وبأن تجارتها كانت مخططة وتدر على البلاد أرباحا كثيرة تستثمر في سائر الميادين ثم جاءت آفة الاستعمار وما كادت تمر السنوات الأولى من الغزو حتى أصبح ميزان التجارة الخارجية الجزائرية خاسرا لأن كل عمليات التصدير والتوريد صارت مقصورة على فرنسا .[2]

وبالرغم من تمكن فرنسا من احتلال الجزائر سياسيا لكنها لم تتمكن من بعث نشاط تجاري واسع فكانت هذه السياسة الفرنسية موضع نقد من طرف المفكرين، وفيما يخص الحبوب فهي لم تكن كافية في الجزائر لسد حاجة الأوروبيين من جيش ومستوطنين نتيجة المجاعة والحرائق، الأمر الذي جعل الإدارة الفرنسية في الجزائر تعمل على استيرادها من فرنسا ولهذا كانت الجزائر العاصمة الواسطة لتمويل الجيش الفرنسي في الشرق والغرب الجزائري بالحبوب من فرنسا[3]، ولم يكن الاهتمام التجاري الأوروبي ينحصر في الشمال فقط بل امتد أيضا إلى الجنوب حيث كانت الصحراء مبعث إغراء المغامرين والتجار ومن ثم صارت دافعا للتوسع الفرنسي وهو ما عبر عنه شارل فيرو يما يمكن ترجمته أنه باحتلال ورقلة يمكن إقامة إدارة فرنسية قوية أساسها السوق التجارية بهذه المدينة التي ستكون هامة للأوروبيين والعرب والميزابيين والسود واليهود.[4]

وعل الرغم من الأهمية بالنسبة لمساحة أراضي الدوار المكرسة لزراعة الحبوب فإن فيمة واردات الشعير والقمح تفوق نصف قيمة مجموع الواردات لم يكف انتاج القمح بالنسبة

[1]- بوعزة ضرياسة، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1999، ص 03
[2]- العربي الزبيري، مرجع سابق، ص 20.
[3]- أحميدة عميراوي وآخرون، مرجع سابق، ص35
[4]- نفسه، ص 37

للفرد على مستوى الجزائر بأكملها عن الانخفاض من الاستعمار وذلك بفضل الانخفاض والتزايد للمردود وتزايد عدد السكان، إن كمية الحبوب التي يتصرف بها كل مواطن جزائي انخفضت حسب ديمون R.DUMONT من عام 1878 إلى 1948 من 6 إلى 3 كنتالا في السنة.[1]

إذ عرف الشرق الجزائري نشاطا تجاريا كبيرا في عهد الاحتلال الفرنسي إذ جاء في تقرير لوزارة الحربية الفرنسية أن قد تم شراء 2240 رأس غنم و4605 رأس بقر أي مجموعها 6845 رأس حيوان من سوق فيليفيل وتم تصديرها إلى جيجل والجزائر العاصمة وهو ما ينطبق على بقية الموانئ والمدن التي تم احتلالها، عرفت نفس النشاط التجاري وبناء أعلى ما قدمه فيلكس أنطوان تكون حركة النشاط التجاري عام 1845 من أهم الأسواق بالمدن الجزائرية كالآتي:

المدينة	قمح/هكل	شعير/هكل	أغنام/رأس	صوف/كغ	جلود البقر	قماش/م	عرب مترددون
قسنطينة	40130	31193	24284	498911	22087	19557	495899
عنابة	92754	26029	12181	138000	9062	37701	76575
سطيف	2056	4922	7860	12940	14603	14603	118590
المجموع	134949	62144	44325	649851	45752	247881	791064

الجدول 01 : تكون حركة النشاط التجاري عام 1845 في أهم الأسواق بمدن الشرق الجزائري

كانت الأغواط من المناطق التي تزهر بها التجارة إذ كان يتردد على السوقين الكبيرين بها كل من الربايع وعمور وولاد خليف وولاد شعيب وولاد مخاليف وولاد نايل وولاد رحمان والحرازلية وأولاد مختار وأولاد سيدي عطاالله وأولاد خال سعد والشعانبة، وقد ساعدت وفرة المياه وموقع الأغواط المتوسط لجهات مفتوحة لكل الاتجاهات على ازدهار التجارة والبارود من عند بني مزاب، والأسلحة والأحجار الكريمة من تونس والصوف من بوسعادت والحبوب من التل والمقابل كان انتاج الأغواط كبير من ملابس صوفية وحدادة وصباغة وفواكه خاصة التمور منها.

[1]- عدي الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي، 1830-1960، تر. جوزف عبد الله، ط1، دار الحداثة، 1983، ص ص 93-94.

وعليه فإن الاقتصاد الجزائري وحتى انتصار الثورة في عام 1962 كان اقتصادا تابعا للاقتصاد الفرنسي إذ سيطرت الشركات الزراعية الفرنسية على أخصب الأراضي وأكثرها قربا بالساحل والتي انصب الاهتمام فيها على انتاج المحاصيل التي تتطلبها الصناعة الفرنسية بينما هيمنت الرأسمالية الفرنسية على قطاعات التعدين والمصارف والتجارة الأمر الذي رسخ تبعية الاقتصاد الجزائري للاقتصاد الفرنسي[1].

[1]- عميراوي، مرجع سابق، ص ص 37-38

الأوضاع الاجتماعية:

تميزت الأوضاع الاجتماعية للجزائريين أواخر العهد العثماني بطابع خاص من حيث طريقة العيش التي ميزت المجتمع في اللباس والطعام ويشترك بعض الجزائريين مع غيرهم من المسلمين في بعض العادات الدينية مثل عيد الفطر وعيد الأضحى، المولد النبوي، ويتميزون عندهم ببعض الفروق التي فرضتها ظروف الجزائر من مختلف المرافق الاجتماعية كالحمامات والمقاهي والأسواق...الخ

1-الحمامات:

تميزت الحمامات في العهد العثماني بطابعها الفريد [1] حيث يجعلك لا تفرق بينها وبين المنازل العادية من خلال مظهرها الخارجي الذي يجلب الاهتمام، حيث كانت لها مهام اجتماعية جد مهمة ، مراسيم الدفن، أمور الزواج،[2] الأعمال التجارية، الأمور العائلية، حيث تتميز ببناياتها الواسعة والماء البارد والساخن تتكون أغلب هاته الحمامات من ثلاث رف متصلة ببعضها البعض، ويوجد بداخلها خدم يحرصون على راحة الزبون وتلبية طلباته[3]، يصف لنا روزي حمام الداي فيقول، " تجد ممرا يؤدي إلى حمامات النساء، تتكون من أربع قاعات متصلة ببعضها البعض مغطاة من الرخام ومكسوة بمربعات الزليج، تجد بكل قاعة حنفية يسيل منها الماء داخل حوض من الرخام الأبيض"[4]

2- الأسواق:

كانت الأسواق في الجزائر خلال أواخر العهد العثماني ترتكز في شارعين أساسيين الأول يمتد من باب عزون إلى باب الواد، حيث أن باب عزون يربط المدينة بالمناطق الداخلية ومنه تدخل المواد الأولية الموجهة للاستهلاك.[5]

---

[1]- ويليام شارل، ص 99
[2]- نفسه
[3]- ويليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ص 115
[4]- ويليام شارل، نفسه، ص 87
[5]- هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر، ص 293

أما الشارع الثاني فيربط باب الواد بشارع البحرية ويشمل على سوق القيسارية وهو أهم مركز مخصص للتجارة الدولية بالإضافة إلى سوق الدخان، سوق السمن، والعطارين، أما البضائع فهي متنوعة تتكون من الروائح والعطور، مصنوعات يدوية، أكياس الصيد، حقائب النساء والأحذية.[1]

إلى جانب هاته الأسواق يوجد أسواق صغيرة عرفت بالسويقة مثل سويقة باب الواد.

3/ المقاهي:

إن المقاهي مؤسسات حقيقية حيث يجتمع بها السكان من كل الطبقات ويجتمعون على عقد الصفقات وشرب الشاء أو القهوة وسماع الموسيقى[2] ،وتبادل الأخبار ولعب الشطرنج، كان للجزائر مقاهي متعددة يزيد عن ستين مقهى وكانت موزعة على باب الواد، باب عزون،[3] تحدث المؤرخ فاغنر عن المقاهي الجزائرية قائلا: " تقدم القهوة في فنجانين مصنوعين من الخزف فوق صحوة من الصفيح ويوضع بها مسحوق السكر ويقدم معها غليون أحمر ذو قصبة طويلة من النوع الممتاز".

التركيبة السكانية للجزائريين أواخر العهد العثماني:

كان المجتمع الجزائري في تركيباته عناصر وهي التي تمثلت وتشكلت في سكان المدن والأرياف كما يلي:

1- سكان المدن: جمعة مختلف فئات المجتمع:

1-1 الأقلية التركية: هذه الطائفة منعزلة عن المجتمع تمثلت في أنها متمسكة بلغتها الأصلية ومنهجها الحنفي وتخضع لنظام قضائي ولها امتيازات فريدة من نوعها.[4]

[1]- حسن الوزان، مرجع سابق، ص 37
[2]- ويليام شال، مرجع سابق، ص67.
[3]- ويليام سبنسر، المصدر نفسه، ص5
[4]- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1830/1514، ط2، دار الألمعية، ص 35

2-1 جماعة الكراغلة: تكونت شريحتهم في المجتمع نتيجة تزاوج أفراد من الجيش الانكشاري بنساء جزائريات وكان ظهورها أول مرة في كل من مستغانم وورقلة بين راسة، مازونة، بسكرة، قسنطينة وعنابة.[1]

3-1جماعة الحضر: كان عددهم يفوق 2500 نسمة عند مجيئ الأتراك بحيث تنقسم جماعة الحضر إلى:

- التغزيون: هم الذين أتوا من مملكتين، الأراغونة وبلنسية
- المدجنون: وهم الذين خربوا الأندلس وغرناطة

4-1 المجموعات البرانية: هم السكان الأصليون وهم [2]:

- الأغواطيون
- البسكريون
- القبائليون
- بنو مزاب
- الجالية اليهودية
- الدخلاء

سكان الأرياف: يتكون الأغلبية الساحقة لسكان الجزائر بما يفوق 90% وتنقسم إلى فئات وهي:

1) الأجواد

2) قبائل المخزن

3) قبائل الوعية

[1]- نصر الدين سعيد، في دراسات وأبحاث، ص ص 92-94
[2]- عائشة غطاس، الخزف والحرفيون ببلدية الجزائر، الجزائر، 1700-1830، ص 26

4) المرابطون

النمط المعيشي للسكان:

تميزت الحياة الاجتماعية لسكان الجزائر في أواخر عهد الدايات من حيث طريقة العيش بنمط خاص من خلال عاداتهم وتقاليدهم:

1- **اللباس:** كان لباسهم فضفاض عريض متصلبة جوانبه بأكمام وكان يدعى بالبرنوس.[1]

وتميز لباس الأغنياء الرجال بالسراويل المطرزة فضفاضة، والشاش أو الشاشية الحمراء.

2- **اللغة:** كانت اللغة الرسمية في اللغة العثمانية، وكانت اللغة العربية شائعة الاستعمال تجمع العرب، بالإضافة إلى اللغات الأخرى: كالإسبانية والإيطالية والتركية.[2]

3- الطعام (الغذاء): لقد كانت تتميز بأنواع من الأطعمة من لحوم وأسماك فسكان المدن كان طعامهم السمك، إضافة إلى الكسكس الذي كان الطبق الشعبي الشهير، الذي كان يفتل بشكل حبات صغيرة ويقدم بالإضافة إلى استهلاك لحوم البقر ولحم الثور المجفف.

[1]- البرنوس، نوع من المعاطف،
[2]- ويليام سبنسر، مصدر سابق، ص 113

الفصل الثاني

- الكوليرا
- الطاعون (la peste)
- التيفوس
- مرض الجدري
- حمى المستنقعات
- الأمراض الصدرية
- أمراض العيون
- الإسهال وأمراض الأمعاء الغليظة

تمهيد

أكيد أن الاستعمار الفرنسي لم يأت إلى الجزائر لتحريرها من ظلم الأتراك ولا من أجل نشر الحضارة الغربية، كما كان يدعي دائما فأهدافه واضحة، ولكنه كان يحاول تغليط الرأي العام الفرنسي والعالمي للتغطية عن ممارساته، حيث ارتكب المجازر وانتهك الأعراض وأباح الممتلكات ومن بين أوجه الخراب والدمار التي جلبها الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر: الأمراض والأوبئة، وسنحاول أن نبين معظم الأوبئة والأمراض التي اجتاحت عدة مناطق من الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، حيث نقلت إلى الجزائر من أوروبا وتحديدا من فرنسا وأغلبها عن طريق الفرق العسكرية الفرنسية التي كانت تنشره في العديد من المناطق بالجزائر من خلال تنقلاتها ونظام خدمتها والعدم العسكري في المناطق الساخنة أين تكون هناك مقاومة أو ثورة أو أثناء توسع قوات الاحتلال في المناطق الداخلية والجنوبية.

الكوليرا:

يأتي أصل الكوليرا من بؤرة مستوطنة تقع في الهند في دلتا نهر الغابج والبرتغال[1]، حيث يتولد داء الكوليرا vitro choléra هي جرثومة تغزو أمعاء المريض وتسبب الإسهال الشديد والقيء مما يؤدي إلى جفاف وظهور صدمة وينتقل عن طريق الأيدي ولكن أيضا بشكل غير مباشر عن طريق المحيط الخارجي لاسيما المياه والفواكه والذباب.[2]

إذا كانت بعض الأمراض قد اختفت نهائيا أو مؤقتا بالنسبة للبعض فإن الجزائر عانت منذ عام 1831 من وطأة مرض جديد لم تعرفه من قبل ألا وهو مرض الكوليرا choléra MORBUS[3].

كان أول ظهور لوباء الكوليرا في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي في عام 1834 في مستشفى وهران العسكري وانتشر في المدينة ما يقرب 1000 شخص وهي ستمتد إلى معسكر ومستغانم وسيكون هناك ما يقرب 1500 شخص ضحية[4]ويقول أدوارد أن ظهور وباء الكوليرا بميناء المرسى الكبير قبل المستشفى العسكري بوهران ، "أول غزو للجزائر في ميناء المرسى الكبير من 26 -28 سبتمبر 1834 وأنه غزو إفريقي كلي وهو جزار من ميناء المرسى الكبير وامرأة كانت تعيش معه توفي في المستشفى العسكري بوهران حيث تم نقلهما في يوم 29 دخل أربعة معتقلين إلى حصن المسرى الكبيرة عليهم أعراض الكوليرا الواضحة، اقتصر هذا المرض على هذا المكان الأخير حتى 04 أكتوبر لا يزال 18 شخصا مصابا منهم 04 فقط ماتوا "

حتى 05 أكتوبر 1834، لم تكن هناك أي حالة إصابة بالكوليرا في وهران [5]وفي عام 1835 تأثرت الجزائر بوباء جاء من مرسيليا، وطولون الميزانية العمومية 1200 حالة وفاة في الجزائر العاصمة 1400 حالة وفاة في قسنطينة منذ الأيام الأولى من يوليو 1835 أبلغت لجنة الصحة في

---

[1]- **Kadin** M.Y les épidémies ayant sévien en Algérie au 19 éme et 20 émesiècle , faculté de médecine de Batna .p08

[2]- مصطفى خياطي ، الأوبئة والمجاعات في الجزائر ، ترجمة حصرية يوسفي ، منشورات ANEP ، الجزائر 2013 ، ص156.

[3]- فلة موساوي القشاعي ، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871) أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، منشورة 2003-2004 الجزائر ، ص126

[4]- Kadim M.Y Opiciti , p08

[5]- M.A.Vincent et V.Collardot .le choléra d'apres les neuf edidémies qui ont règne Alger , depuis1835 jusqu'en 1865 , librairie de la médcine , de la chirurgie et la pharmacie , militaires (victor.rozer–editeur, RO childobart,11prés la place saint german- des frés , frés , paris,1867 ,p09)

الجزائر العاصمة أن الكوليرا سادت في طولون وامتثالا لقوانين الصحة اعتبرت جميع مصادر هذا البلاد مشبوهة خلال هذا الشكل وصل عدد كبير من الركاب إلى هناك على متن قوارب بخارية أو سفن تجارية وبعض سفن الدولة التي كان على متنها مرض الكوليرا.

أكيد أن الاستعمار الفرنسي لم يأت إلى الجزائر لتحريرها من ظلم الأتراك ولا من نشر الحضارة الغربية كما يدعي دائما فأهدافه واضحة لكنه كان يحاول تغليط الرأي العام الفرنسي والعالمي للتغطية عن ممارسته حيث ارتكب المجازر وانتهك الأعراض وأباح الممتلكات.

لذلك كانت مدينة الجزائر مهددة بمرض الكوليرا برا وبحرا وكان هناك البعض في القبائل المجاورة كما كان هناك البعض في بعض المباني الرطبة في ميناءها لكن الضحية التي قدمها هناك لم تكن من السكان ولا من القبائل تحت أسماء الملاريا (الملاريا، حمى التيلوريك، حمى المتسنقعات).

يفهم المرء المودة التي تولد انبثاقات التي تنبثق من الأرض الرطبة حيث توجد مادة عضوية نباتية في حالة تعفن تحدث تأثيرا ارتفاعا لدرجة الحرارة ، إن التاريخ الطب القديم قدم الطب وأصوله تعود أصوله على أبقراط ولكن ت مالخلط بينه وبين جميع أنواع الحمى الأخرى حمى التيفويد والتيفوس والدوستاريا والحمى الصفراء [1]

سجلت عدوى الملاريا في الجزائر تغيرات سنوية هامة جدا ارتبطت بحجم الامطار كلما كان العام ممطرا كان محموما " ومنه كان هناك سنوات ممطرة جدا سميت "سنوات الحمى" وخلالها كانت الملاريا تبلغ ذروتها . 1839-1840 ، 1849-1852 ، 1853 ، 1860 ، 1888 و 1889 كما كانت هناك فترات هدوء دامت سنوات عديدة خفت فيها العدوى تدريجيا [2] .

يذكر السيد "روش" الفنصل العام الذي كان جزءا من العمود المكلف عام 1840 بتزيود حامية مليانة الحدث المؤسف التالي ، قال "أحد عشرة مائة من الرجال القادرين على العمل تركو في 10 جوان 1840 في مليانة حتى 15 أكتوبر كان هناك 300 فقط ممن يحملون الموت في أحضانهم

[1] - domamtin , du paludisme en Algerie , conférence au cercle militaire de batna , MEDCIN , chef de l'hopital militaire IMPRIME, rie , LIBRAIRE BEUN 32 , rue de stif , batna .1900.p05

[2]- الخياطي ، مرجع سابق ، ص101 .

الأول في جانفي 1841 لم يتبق سوى 80 فردا وهكذا مات أكثر من ألف رجل من أصل 1100 في أقل من ستة أشهر"[1] .

في عام 1881 قال فيرناي في سلسلة من المقالات نشرها في مجلة الجراحة بشأن مختلف المرادفات المستعملة (PALUDISME- الحمى المتقطعة بل جنديا ترجم م نسجن إلى سجن جاء من فرنسا ليضم إلى كتائب ، تم إيداع هذا الرجل الذي تم إحضاره بواسطة باخرة الكيميرا في لازاريبق [2] ، عندما اندلع المرض في الجزائر العاصمة تذكرنا أنه قبل عدة أيام توفي راكب من مرسيليا به كل أعراض الكوليرا وهو الشخص نفسه الذي جلب الجرثومة يمكن أن يكون ذلك بدون شك ولكن من المناسب وضع الحكومة والحكومات بشكل عام للإثارة أن الكوليرا كانت موجودة بالفعل قبل ذلك الوقت على مسافة صغيرة في الجزائر العاصمة ، وذلك من خلال مراقبة مسيرة فقط ، من وهران حيث أعلن نفسه في أكتوبر 1834 .[3]

مرت ثلاثة أيام دون ظهور أي جديد للكوليرا لكن في اليوم السابع ذهب جنديان بعنف إلى المستشفى الذي يبعد ربع غرسخ من المدينة في الطرق المقابل لذلك كانت فيها لازاريتو أو حصن باب عزون ، وفي الثامن من الشهر وقعت هجمات أخرى ، وفي اليوم التاسع صدم ثلاثة محكوم عليهم بالأشغال العامة كانوا يعيشون في حصن نوف عند باب الواد .

وفي العاشر من الشهر يقول أرسين Arséne "علمنا بكوليرا جديدة بين سكان وبين المدانيين الذين كان سكنهم في نوف رطبا غير صحي ، نقل المحكوم عليهم إلى القبة في الريف حيث توفي إثنان وثلاثون من أصل ستمائة طوال الوباء "[4]

حيث قال أحمد باي في كتابه مذكرات أحمد باي بأنه عندما أصاب قسنطينة مرض مريع هو الريح الأصفر "الكوليرا" الذي أطلق عليه إسم "وان" وهو مرض كان يجعل من الرجل الصحيح في لحظة جثة هامدة وقد ظل يخرب مدينة قسنطينة مدة 17 يوم ، مات في اليوم الأول 220

[1]- Domartin ,op.cit,p07
[2]- Arséne ,Ipid , p307
[3]- Gabriélesquer , sur l'histoire de l'algerie après 1830 (correspondance du maéchalchauzel : gouvernement géneral des possession francaise dans le nord de l'afrique (1835-1837) editionlarouse ,11,rue victor , cousin , 11 paris (V^{e})1948 p 207
[4]- Arséne ,Ipid , p 30

شخص ، من جملتهم 22 جنزية من منزلي وفي اليوم الثاني 600 ، 700 في اليوم الثالث ، وبعد ذلك صار الوباء في نقضان إلى أن زال نهائيا في اليوم 17. [1]

وسرعان ما انتشر المرض في المدن المجاورة وخاصة معسكر ومستغانم حتى من في ظرف وجيز على حوالي 1457 شخصا ، وفي جويلية 1835 ظهر الوباء من جديد في الجزائر والتي انتقل إليها عبر ميناء طولون وتسبب في وفاة حوالي 1220 شخص في الجزائر من المستوطنين والجزائريين. [2]

حيث جاء في تقرير الحاكم العام لوزير الحرب ..

الجزائر العاصمة 05 سبتمبر 1835

قال "وضعنا يتحسن كان هناك وفرة في المرج الرواسب ضد الكوليرا ، نخسر عددا أقل من الناس وآمل أن في غضون 8 أيام إذا استمر الأفضل فلن ولن يكون هناك مزيد من السؤال على هذا المرض كان الجميع في موقعه ، ولم يغادر أحد ، لقد قام الجميع بواجبهم في الجزائر العاصمة قللنا من المهمات وقللنا من الخدمة وأنا تأخرت في مراجعة القوات حتى لا أنفعل بسبب زيادة الإرهاق الجديد والمتعدد الحوادث " [3]

عادة ما تأتي إلى الكوليرا عبر الموانئ أو من هناك تنتشر تدريجيا نحو الداخل تضرب أولا في المدن والمراكز المكتظة بالسكان وأول رعاية للسكان الذين يبتعدون هو القرار إلى الريف في الهواء الطلق ، وقد تسبب تحدد لا يحصى من الجراء النافق في الحقول الذي غرق في الأنهار متحللا بفعل الحرارة بلا شك في إصابة الغلاف الجوي بالعدوى من الوحل الراكد بالفعل بسبب الجفاف الشديد يجب أن تكون هذه الانبعاثات الوبائية تم إخراجها وهذه المحروسات المرضية التي أودت بحياة العديد من الضحايا. [4]

[1]- أحمد باي ، ممذكرات أحمد باي ص 39

[2]- سيدي محمد رامي ، دور الاستعمار ، مرجع سابق ، ص964

[3]GABRIEL ESQUER , sur l'histoire désastres de l'Algérie après ipid 1830, p41

[4]- L'abbé BURZET , histoire désastres de l'algerie (1866-1867-1868) sauterelle , trembement de terre Choléra – famine , mebre de l'association scientifique de France , TIMORIMERIE CENTRALE ALGERIENNE -usine a vapeur , eug , graudel , Alger 1869, p 56

ويعطى قابريال اسكور (gabrielesquer) في كتابة حول تاريخ الجزائر بعد عام 1830 ، مقتطفان من تقارير الأغا يثبتان لكم وجود الكوليرا في مليانة قبل ظهورها في الجزائر في 01 أوت 1835

انحسرت الكوليرا في مليانة ومع ذلك لا يزال شخص أو شخصان يموتان يوميا 13 أوت ، ليس من المؤكد ، قال من أين أتى هذا الغموض أن الكوليرا في التي تسود مليانة وكان هناك وباء قتل عدة أشخاص في اليوم ومازال مستعرا قليلا .

"أن الكوليرا مدمرة للغاية في قسنطينة لدرجة أن أحمد بك اضطر إلى مغادرة المدينة حيث يصوت كما يقول 200 شخص في اليوم للجوء إلى الصحراء ".[1]

وسرعان ما انتشر الوباء في الثكنات والسكان المدنيين وبعد هجر جماهير السكان الأصليين نتيجة الهروب من الخدمة العسكرية ، تصل بسرعة إلى مستغانم ومعسكر حيث دمرها في وقت قصير جدا وجزء كبير من ولاية وهران ، وضربت بشكل خاص مدينة معسكر من أصل عدد سكانها 10.000 نسمة توفي 1437 شخص في شهر أكتوبر وحده[2].

وما يدلنا على سرعة انتشار وباء الكوليرا في كل مناطق الجزائر أثناء السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي هو امتداد العدوى الى غاية ناحية شرشال عام 1839 متسببا في هلاك ثلث السكان[3].

وقال (J.Crespin) في كتابة أصول الطب الفرنسي من الجزائر أن سؤال كبير يجب ان يشغل الأطباء والعلماء أيضا وهو مسألة التأقلم في الجزائر قال:" نحن نعلم أننا يأسنا طويلا في الجزائر من ذبح الجنود والمستوطنين الذين سقطوا تحت وطأة الأجواء لم يكن بهدف تهدئة المخاوف لقد تطلب الأمر طاقة شرسة من المستعمرين في بوفاريك على وجه الخصوص لمقاومة الإدارة التي أرادت التخلي عن أكثر المراكز الغير صحية ولم يكن الأطباء متحمسين عمالقة الاستعمار في الجزائر".[4]

[1] - Gabriel op.cit p 209.
[2] - M.A VINCENT et V.COLLARDOT, I pid, P10
[3] - فلة مرساوي القشاعي، مرجع سابق، ص134
[4] - J.Crespin, les origines médecine Tronçais en Algérie ecole de médecine et de pharmacie d'alger cours d'hygiende et de medecine l'egale, A.poinat Editeur, Publication médicales et scientifique, rue deptrent, II, Paris, 1909,p22

وقال بودين (Boudin) بوجود كل رجل ضعيف يرسل إلى إفريقيا هو رجل ضائع وأدرك بودين التأثير السعيد في بعض المناطق المحلية لكن لم يكن الأمر كذلك ليس بالنسبة له تأثير المناخ بل تأثير تسمم مستنقعات.[1]

ومن بين ضحايا هذا الكوليرا نحصي بشكل رئيسي « M.Le colo » نيل ريكارد قائد منطقة الجزائر والسد "برود" وضابطي الصحة السيد Jurring والصيدلي الرئيسي Atufe والسيد "ماري" رئيسي Leroi Macien، Debouges، Gest، Geraradir والجراحون الكربوط ، بروسوتو ، وهوبيرت ، صيادلة أيضا .[2]

في عام 1840 على الرغم أن الكوليرا يتجاوز 28 في الالف في الجزائر . ارتفع معدل الوفيات

جدول 02: يمثل عدد الوفيات من عام 1848-1853 [3]

عدد الوفيـــات	السنـــة
41p . 1000	1848
101p .1000	1849
70 p . 1000	1850
64p . 1000	1851
55p . 1000	1852
47p . 1000	1853

وفي سنة 1854 دخل وباء الكوليرا مرة أخرى عن طريق الجنود الفرنسيين حيث وصل أولا إلى المدينة الجزائر ثم تتبع حركة الجنود الفرنسيين من ثكنة إلى أخرى ومنها إلى المدن والقرى المجاورة وبطبيعة الحال يفتك بالجزائريين أكثر وكذلك الامل بالنسبة لـ 1865 حيث وصل إلى الجزائر من مرسيليا عن طريق عن طريق فرق عسكرية استقرت أول الأمر في سيدي فرج [4] ، فالكوليرا التي تنتشر في الجزائر العاصمة لا تستثني المناطق الداخلية في البلاد يوميا 15 شخص

[1]- J.Crespin .op.cit.p22
[2]- Arsen .op.cit.p 311
[3] - J.Crespin .op.cit.p23
[4]- سيدي محمد رامي ، دور الاستعمار ، مرجع سابق ، ص 365

في البليدة أغلبهم في الشرق بين أبناء "دايسير إلى عمور " (disser et d'ammarruah) و**** لأنهم لم يعد لديهم أكفان كافية لدفن موتاهم [1]

الأوبئة :

الطاعون (la peste)

تعرضت الجزائر خلال الفترة الاستعمارية كغيرها من الأقطار المغاربية والمشرقية والأوروبية إلى وباء الطاعون ، بحيث يعود ظهوره في الجزائر أول مرة سنة 1551 ، ومنه ظل يظهر بصفة دورية كل 15 سنة أو 25 سنة حيث قال عنه الرسول عليه الصلاة والسلام :

"الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف "نستنتج من قوله عليه الصلاة والسلام أن الطاعون جرثومة معدية سريعة القتل والفتك بالإنسان [2]

سبب هذا المرض جرثومة اليارسين (barcille yarsin) التي تعيش وتتكاثر على جسم القوارض والفئران موطنها في الهند والصين.

تنتقل عدوى هذا الوباء للإنسان عن طريق لسعة قمل مصاب ومن انسان إلى آخر عن طريق التنفس وتبادل الاشيا بين المصاب وغيره ، فهو سريع الانتشار إذا وجد أماكن غير نظيفة .

فيما يخص علاقة الطاعون بالجزائر، فيعود تاريخ ظهوره أول مرة سنة 1552 نقل إليها العدوى من الشرق الأوسط وكذلك عن طريق الحجاج العائدين من مكة والقوافل التجارية (تريكيا ، بيروت) القاهرة الإسكندرية قابس القيروان تونس باجة قسنطينة ، ميلة ثم الجزائر ثم مليانة تلمسان بسكرة ، الاغواط ورقلة القرارة وصولا تومبوكتو [3] ، مما سهل دخول الوباء إلى البلاد هو حركة التنقلات التي بين الشكل من الداخل والخارج عن طريق الحجاج وطلبة العلم حيث أن الطريق البحري هو العامل الرئيسي في انتقال العدوى لكثرة استغلاله عكس الطريق البري الذي شددت عليه السلطات الاستعمارية الاجرات الإدارية فنتج عن ذلك أن أول المناطق التي تصاب

[1] - Gabriel esquer , p36

[2]- عائشة غطاس ، الوضع الصحي في الجزائر ، ص 124

[3]- بالجزائر فعل الاحتلال الفرنسي ، علامة صحيحة ، أطروحة مقدمة نيل شهادة دكتوراه ، جامعة تلمسان ، ص ص 161،162

هذا المرض هي الموانئ مثل ما حدث سنة 1921 في دوار المقنين الموجود في سور الغزلان أصيب عامل بالوباء ونقل طفل هذا الوباء إلى عائلته فتوفي 6 أفراد ثم انتقلت العدوى إلى الجسم أن والاهل من حضروا الجنازة ثم كل منطقتهم وقد بلغ عدد الطاعون 185 منهم 97 حالة وفاة مما يفوق و 15 من مجموع الإصابات ، فظهر الوباء خلال فترة الاحتلال سنة 1852-1855 أين أصاب مدينة مليانة وكان خفيفا في الإصابات مقارنة بالقرن 19 ثم أختفى ليعاود الظهور خلال الفترة ما بين 1899 و 1904 حيث سجلت 25 ضحية موزعة كالتالي : حالة واحدة نوفمبر 1899 و 3 حالات خلال سبتمبر 1900 في منطقة بئر مراد رايس وحالة واحدة 1902 في الجزائر ، و3 حالات في البليدة.[1]

إن الملاحظ في وباء الطاعون هو تسجيل أولى حالات الإصابة به في المناطق الساحلية مما يؤكد أن طريق نقل العدوى به هو الموانئ عن طريق البحر حيث عاود الظهور في طريق 1907 أين سجلت 57 حالة موزعة على الموانئ في البلاد ، واستمر الوباء خلال فترة الـ ح ع 1 بسبب تنقلات الجزائريين المجنسين وكذلك نقل المؤونة.

نقصت مدة الوباء ما بين 1899 1923 لمدة 24 سنة.[2]

يقول الدكتور كميل قروس (camill gros) و D^M [3] أنه يتم تركيب خدمة المستشفى إلى استقبال مرض الكوليرا المدنيين في أغسطس "أوت 1866" بأمر من الحاكم العام للجزائر والغرض منه تجبن استقبال مرضى الكوليرا في في المستشفى المدني لذلك كان الهدف من سيارة الإسعاف العاصمة هو استقبال المرضى وحتى أيضا حالات الكوليرا التي يمكن أن تحدث داخل المستشفى المدني الواقع بحي مصطفى افتتحت المؤسسة في 22 أوت 1866 وأغلقت في 05 ديسمبر من نفس السنة.[4]

[1] - M.Guyon «la peste d'alger à 1818»

[2] -علامة صحيحة ، مرجع سابق ص 163.

[3] - D^M camille gros : ancien interne de hopitause de paris , professeur , supléant de chaires de médcine à l'école d'Alger , chururgien adjant à l'hopital civil , member du conseil d'hygiene et de salubrite secrétaire général de la société de médecine

[4] - Camille gros , compte rendu du service midical de lambulance , etablie au hamma (prés d'alger) pandant l'épidémie cholérique de 1866 , Typographie duclause , rue du commerce , alger , 8167 , p03

وفي عام 1867 بدأ وبحزن شديد بسبب كارثة الزلازل جلب في أيامه كارثة جدية جا الوباء المشكوك فيه أن الخزاب الرهيب كان يتسبب في سقوط عدد لا يحصى من الضحايا ، ليمد حجابه الجنائزي على كل الجزائر وبحسب ما جاء في تقرير القديس أغسطينوس فإن الوباء ناجم عن رائحة الكريهة التي خرجت من جثث الجراد.[1]

أثار برتران في كتابه عن الطب والصحة عند العرب إلى الكثير من الإجراءات المتبعة من قبل العرب إلى استئصال الوباء في فترات الوباء يسرع العرب يدفن موتاهم لهذا اضطر الاطباء الفرنسيون المكلفون بإثبات الوفاة في عام 1837 للجوء إلى السلطة المحلية ،ممثلة في زعماء القبائل من أجل معاينة الجثث يستعمل العرب نبات الشندورة والزيت الحلو ، زيت الزيتون في علاج الكوليرا والماء المملح .[2]

من 92 كانت الكوليرا في الجزائر العاصمة تتناقص كل يوم على الأقل على الرغم من أن معدل الوفيات كان لا يزال كبيرا لكن كل يوم كان خطوة أخرى نحو النهاية لو كنا نعد أنفسنا لعظيم نهر ،لم يكن هناك المزيد من الكوليرا في الجزائر العاصمة عندما وصلت إلى هناك 7 أكتوبر ولكن منذ أيام الأولى من نوقمبر حدثت طفرة صغيرة وصلت إلى عدد قليل من الناس لكنها تحسنت شعرت به المستشفيات العسكرية وخاصة المرضى .[3]

وما أدى إلى اختفاء العدوى من الجزائر في هذه الفترة هو استمرارية الحجر الصحي الذي كان مطبقا بصرامة على السلع الآتية إلى موانئ الجزائر.[4]

في الأخير فإن هذه الوبئة قد كثرت وتعممت ابتداء من بداية الاحتلال الاستعماري وكانت تلاحظ بانتظام بعد مرور تحرك الجيوش الفرنسية عبر التراب الوطني الجزائري كما شهد بالنسبة للكوليرا مثلا (1834 – 1835 – 1837 – 1849 – 1850 – 1855 – 1859 – 1860 – 1866

[1]- L’abbé , burzet op.cit, p 55

[2]- مصطفى خياطي ، الأوبئة والمجاعات في الجزائر ، ص ص 171 ، 172

[3] - Arséne , op.cit.310

[4]- فلة موساوي القشاعي ، مرجع سابق 140

و 1865) فإن هذا التكرار الغير عادي مرتبط بتحركات الجيش الفرنسي وإن كانت الأوبئة كما هو معلوم ، منتشرة في جميع البلدان.[1]

الجدول 03 : ضحايا وباء الكوليرا في مدينة الجزائر سنة 1835

الشهور	الأوروبيين	المسلمين	اليهود
أوت	154	237	437
سبتمبر	33	56	40
أكتوبر	3	//	//
المجموع (بـ أيام فقط)	190	293	447

حيث ذكر الدكتور سكوتيتن (scoutetten) في التقرير الذي بعثه إلى وزير الحربية المتضمن عدد المصابين بوباء الكوليرا سنة 1835 ، إذ يعمل هذا التقرير تفسير جلي وواضح عن الحالة الصحية في تلك الفترة لدى المستوطنين واليهود .[2]

التيفوس :

يعرف التيفوس بحمى خبيثة وبائية ، ويضيف تسببها للجراثيم من فصيلة الركتيسيات (rickettsia pro wazekil) التي تنتقل إلى البشر بواسطة الحشرات التي تنتقل بواسطة القمل لاذي يظهر أثناء الحروب والكوارث التي تؤدي إلى الجوع والفقر والازدحام ، إذ يصيب الجيوش وتنتقل الرك*** من إنسان إلى إنسان بواسطة القمل ، عندما يمتص دم المريض ثم يحتك براز القمل أو تسحق القملة مكان اللسع .[3]

[1]- الجيلالي صاري ، الكارثة الديمغرافية في الجزائر (1867-1868) ترجمة : عمرمعراجي ، منشورات ANEP ، الجزائر ، 2008 م ، ص ص 116 ، 117.
[2]- مجاهد يمينة ، مرجع سابق ، ص52.
[3]- مجاهد يمينة ، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1962 ، أطروحة لنيل شهادة دكتورا في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة وهران (2017-2018)ص 154.

يشكل وباء التيفوس واحدة من الأحداث المؤلمة التي اجتاحت المجتمع الجزائري خلال فترة الاحتلال [1] والتيفوس الطفحي من أكثر الآفات التي عرفتها الجزائر في القرن 19 خطورة بعد وبائي الطاعون والكوليرا.[2]

كان أول إعلان عن وباء التيفوس في الجزائر كانت مسنة 1851 بمنطقة القبائل كان تسنة 1861 بتسجيل 330 حالة وشهدت السنوات 1862 ، 1863 ، 1864 ظهور الوباء في بجاية ثم قسنطينة مخلفة العديد من الضحايا ، وما بين سنتي 1867 و 1868 أصاب 500000 شخص وقد تزامن ذلك مع المجاعة والقحط التي عرفتها الجزائر [3]

وهو أحد الأمراض المعدية التي ابتليت بها الجزائر في شكل وباء مستوطنة حيث تعتبر جرثومة ريكتيسا سببا رئيسيا للمرض وهي متعددة تختلف باختلاف الذي ينقلها البشر أو حيوان ، وهي أنواع تخضع لتوزيع عاليمي أو إقليمي.[4]

هكذا كانت البداية في الجزائر بجاية عام 1862 ثم قسنطينة 1866 وفي مدينة الجزائر 1868 [5] ركزت لاسيما على منطقة القبائل خلال الاحتلال الفرنسي قبل ، التجنيد الاجباري. الذي ابتهجته فرنسا في الجزائر ورافق هذا الأخير تدهورا للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بسبب المجاعة الناتجة عن استنزاف الثروات الطبيعية من قبل فرنسا.[6]

- في عام 1861 تم تسجيل حالات من التيفوس لأول مرة بين الساكنة الجزائرية من قبل ليوناردو ماريت اللذان حددا 240 حالة في بلدة صدور منطقة القبائل التي تضم ما يقارب ألف نسمة وكان معدل الوفيات مرتفعا جدا وصل إلى 50 % من السكان المصابين بحيث سجلت 162 وفاة من مجموع 330 إصابة وقد ضرب الوباء 32 دشرة .[7]

[1]- معياش ايدير ، راشدي وردية ، تمثلات لوباء التيفوس في الخطاب السينمائي الامازيغي ، دراسة سيميوأنتبولوجية لعينة مقاطع فيلم "الربوة المنسية " مجلة آفاق سينمائية ، العدد : خاص السنما والأوبئة ، السنة ، فيفري 2021 ، ص 169

[2]- مصطفى خياطي ، الأوبئة والمجاعات في الجزائر ،مرجع سابق ، ص106

[3]- مجاهد يمينة ، مرجع سابق ص 155

[4]- مصطفى خياطي ، مرجع سابق ، ص 108

[5]- مصطفى خياطي ، مرجع سابق ، ص 111

[6]- معياش ايدير ، راشدي وردية ، مرجع سابق ، ص171

[7]- خياطي ، مرجع سابق ، ص 110

- الجراد يمهد للجوع والجوع يعبد الطريق للتيفوس وبالفعل حل هذا الثالوث الجهنمي ، في عام 1908 و 1909 ، 1910 بعين البيضاء حيث خلف 21 وفاة وأشير على أكثر 2500 حالة في قسنطينة 4000 حالة في الاغواط التي احصت 4000 حالة وفاة من مجموع سكاني تعداده 6500 نسمة [1]

وشهدت السنوات 1909 ، 1910 نفس الوضعية بمنطقة قسنطينة من جديد حيث ظهر المرض وبلغت عدد الإصابات 482 حالة لقد كان لهذه الظواهر الجوية الأثر الكبير والسيء على الأهالي تلك المنطقة وكان الموت يخطف في الليالي الباردة والرطبة أعدادا كبيرة كما حدث في حاسي دحو 37 حالة وفاة في ليلة واحدة بسبب التيفوس typhus [2]

خلال الفترة الممتدة بين 1941 و 1945 تم تسجيل 12000 حالة تيفوس في الجنوب منها 3000 وكان أهم البؤر ذلك الواقعة على الطرق المعروفة (بني ونيف ، تاغيت ، بني عباس ، تيميمون ، تواث ، الواد وورقلة) وتعلق الامر بأوبئة كبرى جاءت من الشمال أو بعودة بؤر محلية .[3]

أدى تدهور الوضع المعيشي للشعب الجزائري خلال فترة الاحتلال الى انتشار وباء التيفوس وسط سكان هذا المرض ناتج عن ظروف اجتماعية أكثر منها طبيعية والتي تتمثل في البؤس والفقر الذي تخلفه الحروب والآفات الطبيعية كالجفاف والفياضانات والامطار طويلة المدى والمتذبذبة ، إلى جانب زحف الجراد والمجاعات وسوء التغذية مع غياب الوقاية الصحية لذا اتفق المؤرخون بتسمية هذا الوباء باسم مرض الفقر والمجاعة ووباء البلدان الفقيرة ووباء الطبقات الشعبية البائسة [4]

وما يمكن استخلاصه من هذا الطابع التكراري هو أن التيفوس تحول إلى وباء في ابلاد بسبب بقاء بؤر مستوطنة في المناطق الأشد فقرا ، وحرمانا كثيرا ولا شك أن أكبر وباء عرفته الجزائر هو ذلك الذي حدث أثناء الحرب العالمية الثانية تمثلت أسبابه الرئيسية في الفقر وتخصيص المواد

[1]- نفسه ، ص 113
[2]- مجاهد يمينة ، مرجع سابق ، ص 156
[3] - مصطفى خياطي ، مرجع سابق ، ص 122
[4]- علامة صليحة ، تاريخ الأوبئة في الجزائر (الطاعون الجذري ، التيفوس ، الملاريا) مجلة القرطاس ، العدد 2 جانفي 2015 ، ص 214

الصحية والأغذية وخلف العشرات الآلات من الموانئ كما تشهد به مئات المقابر التي خصصت لضحايا هذا الوباء.[1]

وفي الأخير نستخلص أن التيفوس من اكثر الآفات التي عرفتها الجزائر في القرن التاسع عشر بعد وباء الطاعون والكوليرا هذا الوباء يكون عادة مرتبط ومرادف للفقر والفئات المحرومة وهو نتيجة الظروف الاجتماعية ومخلفات الحرب والمجاعة وسوء التغذية والآفات الطبيعية وانعدام النظافة خاصة في الأشهر الباردة ينتشر بكثرة .

مرض الجدري :

تم العثور على آثار بثور الجدري في المومياوات المصرية وهنا يعني قدم هذه الأمراض المعدية فظهرت القرحات والأورام على العباد والحيوانات وجوزيف فليون مؤرخ يهودي من مواليد الإسكندرية 50 ق.م ترك الكثير من الاعمال التي تتناول هنا المرض ومن ضفاف النيل إمتدت العدوى كما يروي في جميع أنحاء حوض البحر الأبيض المتوسط وقد تكرر ريسكي reiske في كتابته الطبية أن الجدري ظهر أول مرة عند العرب سنة الفيل حسب شعادة المسعوجي ، وابن دريد غير أن لوكلير leclerc أكد في كتابه حلو تاريخ الطب العربي أنه لم يعكر على هنا المقطع في المحلات السبعة مروج الذهب للمسعودي .

الدراسة الزمنية :

تعرض شمال افريقيا في العهد الروماني لهذا الوباء لكن تم تصنيفها منقبل المؤرخين في ذلك الزمن على أنها طاعون ذلك أن [2] التمييزبين الامراض المختلفة التي تنتقل في شكل وباء لم يظهر إلا مع المرؤخين العرب على غرار ابن عفاري ، ابن خلدون إلى جانبليون الافريقي فقد ذكر هذان الباحثان تفشي هذا العرض في الأعوام التالية : 830-843-881-915-919-923-929 ووباء 1001 و 1076 على قدر كبير من الشدة ، كان الجدري في الجزائر يظهر على شكل أوبئة [3] وجميع من

[1]- مثطفى الخياطي ، مرجع سابث ، ص 12
[2]- مصطفى الخياطي ، الأوبئة ، والمجاعات في الجزائر ، تر حضرية يوسفي منشورات ANEPن، ص 75
[3]- نفيسة ، ص 76

عنده الجدري يصيبه انفراد [1] وكان شكل الأوبئة في الجزائر دوري كل ثلاث سنوات لم تأتي أي اخبار عن الجدري إلى غاية أوائل القرن 16 عندما ضرب الحامية الاسبانية في بجاية عام 1509 وعام 1560 ، تسبب الجدري خلال القرن 18 في هلاك 60 مليون شخص في أوروبا وظهر في الجزائر عام1789ثم عام 1803وقام طبيب فرنسي مقيم بالجزائر إسمه مارتينينغوا (Martinengo) بإطلاق التطعيم الذي كان قد ظهر من فترة في أنجلترا [2] في جويلية 1817 اجتمع الجدري والطاعون في الجزائر فكان عدد الاصبات بين الأطفال كبيرا واشتدت خطال الشتاء وقيل أنها كانت سببا في وفاة بعض الأشخاص المسنين وفي سنة 1832 عم الجدري مدينة الجزائر [3] وعام 1838 أشير إلى ظهور الوباء ضواحي جيجيل ومن هذا العام اجتاح الجدري جميع مناطق الشمال حتى عام 1850 .

- عام 1840 ظهر الجدري بقسنطينة ، ونفس العام استهدف البليدة
- 1846 وصل الجدري إلى المدية
- 1847 وصل الجدري إلى شرشال وسطيف وبسكرة .
- قسنطينة ، تلمسان ، باتنة ، قالة ، شرشال سنة 1848 [4]
- عام 1849 حل بالجزائر وقتل 45 طفلا من بني 528 مصاب وعام 1850 ، مارس امتد إلى ندرومة وسيدي بلعباس ومستغانم في جوان وعام 1851 امتد إلى تنس والبليدة 1865 ضرب القبائل وفي سنة 1825 ظهر وخلق أكثر من 4000 ضحية

وهذا المرض قدم إلى الجزائر من أوروبا عن طريق اللاجئين الاسبان والتجار الايطاليين حيث كان يفتك بالسكان كل أربع أو خمس سنوات متسببا في عدد كبير من الوفيات والتشوهات ومن أهم الفترات التي ظهر فيها زادت خطورته سنوات 1803 – 1804 حيث أودى بحياة ما بين 2000 و

[1] - A.Donatien .edm .plantureum et G.Gayot les maladies dues ades virusq -contacpes des Animaux domestiques en Algerie P 45

[2]- مصطفى الخياطي ، المرجع السابق ، ص 77

[3]- نفسه ، ص 78

[4]- نفسه ، ص 79

3000 شخص في مدينة الجزائر وحدها فكان وباء تلك السنة السبب المباشر لإدخال التلقيحات ضد الجدري إلى الجزائر.[1]

وانتشر هذا الوباء في مدينة الجزائر سنة 1832 وخلق عدد كبير من الضحايا وفي سنة 1843 الحق الضرر بالأطفال حيث سجلت وفاة أكثر من 500 طفل في منطقة المدية وحدها وبقي هذا الوباء ينقطع ويعود إلى غاية سنة 1877 م حيث أصاب 294 طفل من أطفال مدينة الجزائر .

جدول رقم 04 : عدد الإصابات والوفيات لوباء الجدري [2]

عدد الإصابات		عدد الوفيات	
ذكور	إناثث	ذكور	إناث
111	136	11	06

نلاحظ أن عدد المصابين والمتوفية من الذكور أكثر من الاناث لقلة عدد الاناث اللواتي التحقق بالمدارس .[3]

حمى المستنقعات:

تعد حمى المستنقعات [4] الملاريا أو حمى الملاريا أو حمى الماركماتية، الحمي التليورية، الحمى المتقطعة، الملاريا، (هي كلمة إيطالية تعني الهواء السيء) والمستنقع في الجزائر وتعرف الملاريا عموما [5].

حمى المستنقعات أو الملاريا مرض معدي تتسبب فيه جرثومة "لافران" حيث تنقل إلى الإنسان عن طريق لسعة بعوضة الأنوفيل (Amophéle) حيث يصاب الشخص بمحى مصحوبة بفقر

[1]- حمودي هدى ، مصباحي حيزية ، الامراض والاوبئة في الجزائر ، أواخر العهد العصماني ، (1770 – 1830 م) م كرة ماستر ، جامعة أكلي محمد أولحاج ، 2018 ، ص 32 .

[2]- يونس فهيمة ، عثمان سلوى ، الطب في الجزائر خلال العهد العثماني ، وبداية الاحتلال الفرنسي 1518 ، 18882 م ماستر ، جامعة أكلي محند أولحاج البويرة 2016 ، ص 58

[3]- نفسه ، ص 59

[4] - حمى المستنقعات (Paludisme) هو مرض معد يمتاز بالشعور بالبرد على فترات وحمى وتعرق يعود سببه العدوى الطفيلية لخلايا الدم الحمراء الذي تسببه الأولي من جنس المتصورة (جنس طفيليات دموية من فصيلة المتصورات) والتي يتم انتقالها عن طريق لدغة بعوضة الأنوفيلة (جنس من البعوض) أنثى حاملة للعدوى ويدعى أيضا مرض الملاريا أو حمى الأدغال، للمزيد ينظر يمينة مجاهد، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1962/1830، مرجع سابق، ص 43

[5]- J.poujal, petit guide médical du colon algérien, la lutte contre les maladies infectieuses en général et le PALUDISME en particulier, médecine de colonisation de la D'AIN-BESSEM (Alger) IMPRIMERIE ORIENTALE pi FONTANA ET C ir rue d'Orléans, 20, Alger, 1900, p16

الدم (Amémie) لأنها تصيب كريات الدم الحمراء وقد قدرت المسافة بين المستنقعات المنتجة للبعوض والتجمعات السكانية التي تصل إليها وتسبب لها الحمى ما بين 100 إلى 300 م[1]

أعطيت أسماء مختلفة لمرض الحمى المستنقعات والملاريا والبرداء يرجع تاريخ لفظة الملاريا إلى نهاية القرن التاسع عشر وهي تدل على المرض وأسبابه في ذلك الوقت وهي مؤلفة من كلمتين مالا-أريا Mal 'Aria ومعناها الهواء الفاسد في اللغة الإيطالية.[2]

التأثر المرضي بالأرض، إنه يفضل لفظة PALUSISME ذات الأصل اللاتيني "PALUDIS" وتعني المستنقع.[3]

لم تنشأ حمى PALUDISME أبدا في السفن في عرض البحر لا توجد في رمال الصحراء القاحلة ولا في الأحياء المكتظة بالسكان في الجزائر العاصمة، أو وهران أو قسنطينة، بفضل هذه البيانات من السهل رؤية الأماكن الأكثر ملاءمة لتفشي حمى الملاريا، توجد في مناطق المستنقعات في السهول المنخفضة سيئة الصرف وجافة جزئيا خلال الصيف في الأراضي الرسوبية غير المزروعة طوال الأنهار.[4]

لقد ارتبطت حمى المستنقعات المعروفة بالملاريا MALARIA أو PALUDISME بالمناطق التي تراكمت فيها المياه الملوثة، مثل سهل متيجة الذي تسلط على سكانه هذ النوع من الحمى باستمرار إلى درجة أنهم تأقلموا مع المرض.[5]

ومن بين أعراض الملاريا: العلامات السريرية الرئيسية التي تتجلى بها الملاريا في شكلها الأكثر شيوعا، الحمى المتقطعة هي وصول الحمى (قشعريرة مع ارتفاع درجة الحرارة المركزية والحرارة والسكر التي تحدث كل يوم "النوع اليومي" كل يومين، "النوع الثالث" كل ثلاثة أيام، "النعو الرابع"، المعدل الإجمالي DJ.grasset وفي الهجمات الخبيثة تزداد حدة الأعراض نفسها "البرد

[1]- علامة صليحة تاريخ الأوبئة في الجزائر، مرجع سابق، ص 216.
[2]- مصطفى خياطي، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، مرجع سابق، ص91
[3]- مصطفى الخياطي، المرج السابق، ص 92
[4]- DOMARTIN, op.cit, p 08.
[5]- فلة موساوي القشاعي، مرجع سابق، ص 173.

الشديد، الغثيان، الاغماء، الاضطرابات الدماغية الاسهال")[1]، وقد تسببت في الاسهال الذي أضعف الجسم الذي كان قليل الصناعة نتيجة الجفاف مما أدى إلى هلاك نسبة هامة من المصابين بهذا المرض الذي كان موجود بالإيالة منذ 1664.[2]

في عام 1904 تفشى وباء قاتل في جميع أمحاء البلاد وكانت الأمطار الطوفانية التي سقطت في 1916 سببا في ظهور ملاريا خطيرة جدا في منطقة الجزائر، في الصيف الموالي وفي عام 1928 جاء الدور على وهران فعاشت تجربة وباء مفاجئ وشديد.[3]

أما عن العلاج الحديث للملاريا ، لم يظهر إلا في مطلع القرن 20 ظهرت المركبات الصناعية أول مرة ف يالحرب العالمية الأولى في عام 1924 بدأ إنتاج الأنثريبيرين وانتشر استعمالها في عام 1930 في آسيا وفي 1931 انتج الألماني لا بلاسمو كين في فرنسا باسم جديد هو برائيكين وفي 1650 ظهر الشكل من لابرايماكين في 1934 أصبح لاكيناكرين متوفرا تم استخدامه في شمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية.[4]

[1]- J.Ponjol, op.cit, p18.
[2]- فلة موساوي، نفسه، ص 174.
[3]- خياطي، نفس المرجع السابق، ص 101-102.
[4]- خياطي ، نفس المرجع السابق، ص 96.

جدول 05: معطيات وبائية للملاريا باختلاف المناطق والسنوات في النصف الأول من خمسينيات القرن 20

المنطقة / العام	/	الجزائر العاصمة	وهران	قسنطينة	المجموع
1953	المرضى	326396	248926	270085	885407
	حالات الملاريا	21196	22010	27756	96270
	%	6.5	8.85	10	8.39
1954	المرضى	340887	248486	319086	909759
	حالات الملاريا	26218	18271	26155	70644
	%	8	7.31	7.84	7.79
1955	المرضى	365188	270665	274303	910156
	حالات الملاريا	35219	18256	22644	76117
	%	9.03	6.73	8.2	8.36
1956	المرضى	3281956	266213	475199	1070035
	حالات الملاريا	12255	6422	32163	50840
	%	3.73	2.54	6.76	4.74

معطيات وبائية مسجلة في النصف الأول من خمسينيات القرن 20 يؤكد تراجع مسجل في أعقاب الحملات تطورا بطيئا جدا قارب الثلث في ظرف ثلاث سنوات وفقا للأرقام التي نشرتها السلطة الاستعمارية، كانت الظروف في تلك المرحلة ممثلة في منع الوقاية في مناطق العمليات العسكرية والتجمعات السكانية كلها سببا لعودة الداء إلى عودة ظهور فورات عدوى مؤسسية ذات صلة بارتفاع حجم المخزون البشري[1]

[1]- مصطفى خياطي، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، مرجع سابق، ص 103

الأمراض الصدرية

أ/ الزهري: عرف الزهري منذ أول وصف له في القرن 15 أسماء كثيرة Vérole الجدري، Grosse vérole، الجدري الخبيث، و Bubos بالإسبانية ومرض أيوبmaladie de Job وكانت البلدان المعادية تتهم بعضها البعض به مثل المرض بالنسبة للإيطاليين وشرنابولي بالنسبة للفرنسيين أما الجزائريون في العهد العثماني فكانوا يسمونه المرض ا لإفرنجي لانتشاره بين البحارة الأوروبيين الذين كانوا يترددون على الجزائر[1] خلال القرن19 أكثر الكتاب الأوروبيين الحديث عنه ولكن الوصف السريري كان مبالغ فيه أما التشخيص البيولوجي وذلك بسب الخلط بين مرض اللولبيات غير الزهري والأمراض الزهرية وهي ناجمة من الفقر، سوء التغذية، قلة النظافة، وكل هذا ناتج من الحرمان[2]

الدراسة الزمنية: ظل الكتاب الأوروبيين يعتبرون الزهري مرضا استورد من أمريكا اللاتينية في زمن كريستوف كولومبوس غير أن أشغال التنقيب الأثرية أثبتت وجوده منذ العصور القديمة.[3]

ذكر المؤرخ الروماني تاسيتوس في كتاباته على غرار الكثير من الشعراء مثل مارسيال، جوفينال، قد قتل هذ المرض بعض شخصيات ذلك العصر الامبراطور غاليريوس وجوليان وأشارسيلسوس الجراح الروماني الزهري، ووصف مضاعفاته [4]، وتعرف الأمراض الزهرية فمنذ الانتشار الواسع لأدوية سبيليريس وسلفاميد انخفضت الأمراض الزهرية.[5] وفي المغرب العربي وتحديدا الجزائر كانت هذه العلة معروفة كثيرا وقد خصه نور الدين بن نصر الدين الشافعي المكي لكتيب صغير عثر عليه في قسنطينة عنوانه تحفة الإمام أشار فيه إلى الزهري باسم مرض الفرنجة وحصر سبب انتقاله إلى العرب في 807- 1404م في الفرنجة وذكر في هذا الكتيب الأدوية التي توصف له ومنها الزئبق بعد ذلك بقليل أكد ليون الإفريقي قلة انتشار هذا المرض في المغرب وحسب نفس الرحالة أن هنا المرض كان مجهولا في جبال الأطلس وفي أجزاء أخرى من نوميديا وليبيا وحتى

[1]- مصطفى الخياطي، المرجع السابق، ص127.
[2]- نفسه، ص 127
[3]-نفسه، ص 129
[4]-نفسه ، ص 130
[5]- مجاهد يمينة- تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي، 1830-1962، دكتوراه جامعة وهران1 أحمد بن بلة، 2018، ص 241

إفريقيا السوداء في سهول الأطلس وجبالها ولم يكن هذا الداء معروفا ولا أحد أصيب به في نوميديا وليبيا والأرض السوداء.

اعتقد ليون الإفريقي أن مرض الزهري دخل شمال إفريقيا عن طريق اليهود الذين طردوا من اسبانيا.[1]

وأضاف ليون الإفريقي أن الزهري معروف في شمال إفريقيا بمرض الدوني أو المرض الكبير أو مرض النساء معتبر إياه مرضا وراثيا وتبنى غويون في كتابه التسلسل التاريخي للأوبئة في شمال إفريقيا هذه الفكرة وجوه بائسة وشاحبة رؤوس صلعاء أفواه بلا أسنان تقرحات على الأنف وأجزاء أخرى من الوجه والأعضاء التناسلية ولا داعي لذكر ذلك الطفح المسمى الإكليل الزهري الذي يظهر على الجبهة ثم يمتد إلى كامل الجسم، ويقول غوين أن فكرة ليون خاطئة وهذا الأمر نادر الحدوث.

ارتفاع الأمراض في صفوف الجيش الاستعماري: رغم جهود الرعاية الصحية المبذولة توسعت حالات الزهري في صفوف الجيش وأمر برنارت بعلاج المؤسسات في مستوصفات تشرف عليها البلدية من 22 جوان إلى 5 أوت 1831 يوجد في بجاية 68 مريضا محموما أو جريحا أو مصابا بمرض تناسلي وهي أمراض انتشرت ببجاية ووهران (17 جوان 1837) عدد كبير من المصابين بالزهري بوهران[2]

[1]- مصطفى الخياطي، مرجع سابق، ص 132
[2]- نفسه، ص 133

عدد أيام المصابين بالزهري في 10000 يوم من العلاج.

جدول رقم 06:

السنة	الداخل	الجزائر	إيطاليا	السجون وورشات العمل	المجاميع
1867-1862	2045	1385	1260	330	1870
1868	1900	2620	300	620	2000
1869	1965	2305	610	335	1965
1872	2050	1768	-	352	1945

يبدوا أن حالات الزهري تفشل في الواقع العناصر العسكرية يصل مجموع أيام الاعتلال والمقصود بها مجموع الأيام المخصصة لعلاج الأمراض التناسلية في صفوف جيشنا إلى ما بين 12 و 1500.000 حالة تخص ما بين 30000 و350.000 رجل هذا يعني أن عدد أيام العلاج ترتفع في كل عام عن عدد العسكريين بثلاث أو أربع مرات وفي كل يوم سيسجل من 3000 إلى 4000 مصابا بالزهري للعلاج[1]

ولو طبقنا احتمالات الإصابة بالزهري وعلى أساس الإحصاءات المسجلة لأمكننا القول أن عدد الجنود المصابين سنويا يمل عشر العدد الإجمالي، مثال:

مجموع 1000 رجل سجل 92 مصاب، في عام 1865 ....

ومجموع الرجال المصابين في الجيش يتراوح بين 40000 و 50000 رجل وتتم معالجتهم في المستشفيات وحددت 13 وفاة في سنة 1872 أي وفاة واحدة لكل 4000 مصاب، أما حالات الزهري بين الجزائريين فإن المؤلفين الفرنسيين بالغوا في تقديرها عمدا لتبرير المروحة الرسال الحضارية التي جاءوا بها في القبائل البدائية التي تفتقر إلى النظافة.[2]

[1]- مصطفى الخياطي، مرجع سابق، ص 147
[2]- مصطفى الخياطي، مرجع سابق، ص 148

مرض الزهري إبان الحقبة الاستعمارية:

من الصعب ما إذا كان الزهري شائعا في الجزائر عند مجيئ الاحتلال لأن الوثائق المتوفرة عبارة عن صورة سوداء أسهم في رسمها الكتاب الأوروبيون في ذلك الزمن أكثر مما هو حالات موثقة فقد رأى البعض في القوانين التي فرضتها الإدارة الاستعمارية لحماية صحة العسكريين ولا حاجة لنا إلى القول أن الزهري كان موجودا في الجزائر عندما جئنا لهنا بادرنا ابتداء من أوت 1830 نفتح المستوصفات في مدن جزائرية وإنما كان ضروري لجنودهم الذين كانوا يصابون هنا بالمرض بالآلاف لأن العلاقة بين عدد العسكريين المصابين وعدد المؤسسات علاقة مباشرة وكان فورناري الأمراض التناسلية قليلة عند المسلمين.

تؤكد مذكرة عثر عليها في مجلة الطب والجراحة العسكرية يرجع تاريخها إلى عام 1840 أن مرض الجدري كان موجودا في قسنطينة.

لابد من القول أن الزهري كان مرضا شائعا إلى حد كبير في أوروبا وقد أصاب شخصيات كبيرة على غرار دوموباسا وشارل بودلير وفريد ريك نيتشه، وفريديريك شوبان، وفاغز شوبرت.[1]

ويعتبر الزهري من أبرز الأمراض والأوبئة التي عرفتها الجزائر أواخر العهد العثماني حيث ظهر 1792 وبرز بشدة مرة أخرى سنة 1817.[2]

يصيب مرض الزهري من 60 إلى 80% من السكان بطريقة قاسية ولمكافحتها اعتمدت إجراءات المراقبة الصحية إلى جانب الأبحاث والمضادات ومعالجتها في مستوصفات مختصة للتقليل من انتشارها.[3]

والجدير بالذكر فيما يخص هذا الموضوع أنه قد أنجز الدكتور رايموند وهو أستاذ طبيب جلد اختصاص الزهري، بالجزائر العاصمة مركزا صحيا ومستوصف مزود بمجموعة مركزية

[1]- مصطفى خياطي، 148-153
[2]- عثمان بوحجرة، المرجع السابق، ص 50
[3]- مجاهد يمينة ، المرجع السابق، ص241

(مستوصف برولت) والذي يمثل نموذج يقتدى به.[1]

ب- السل:

السل مرض ضارب في القدم عثر على آثار الإصابة على مومياوات مصرية وأخرى من أمريكا االوسطى والجنوبية يرجع تاريخها إلى ما قبل عهد كريستوف كولومبوس، ظل هذا المرض ولفترة طويلة يشكل تحديا كبيرا للصحة العمومية في جميع أنحاء العالم وربما كان واحد من أعنف الأمراض المعدية رغم خوفهم منه لم يصل إلى درجة الطاعون لم يظهر اسم السل إلى في عام 1834م وصف ابقراط وشخص أعراضه من تحول تدريجي وأعراض مزمنة وسعال وبصاق دم كما وصف أشكاله النخاعية العقدية، وكانوا يعتقدون أنه مرض وراثي والعدوى به تكون إما مباشرة وإما عن طريق ثبات الشخص المصاب وفي 18 مارس 1882 عندما اكتشف روبورت كوخ (1827-1892) عصيته المشهورة باعتبارها مصدر للعدوى ومنذ ذلك التاريخ أصبح ثابتا أن الجراثيم المسؤولة عن المرض تنتقل من شخص إلى آخر عن طريق الهواء والاتصال الطويل[2]

مرض معد ومجتمعي:

السل مرض معد ومتوطن ووبائي وهو مرض يضرب المجتمعات ترجع عدوى السل في الواقع إلى تغلغل جرثومة تسمى عصية كوخ (BK) في جسم الانسان وتتضاعف بداخله وهي شديدة المقاومة وجافة وعادة ما تكون متوسطة الحرارة في البصاق تحافظ على خطورتها لعدة أشهر،[3] واللعاب هو ناقل العصبية والسبب في ظهور مرض السل[4] وهو من أشهر الأمراض التي عرفتها الجزائر.[5]

مرض السل حيث يذكر السيد برك بأن القرن 14م كان أسوء قرن بالنسبة لحضارة البحر الأبيض المتوسط لأن المنطقة كان قد أصابها المرض سنة 1348 وما نتج عنه من انخفاض في سكان المنطقة.[6]

[1] - نفسه ، ص 242
[2]- مصطفى الخياطي، مرجع سابق، ص 175
[3]- نفسه، ص 176
[4]- نفسه، ص 177
[5]- بوحجرة عثمان، المرجع السابق، ص 50
[6]- نفسه، ص 50

تشير حصيلة معدلات الاعتدال والوفيات التي أعدت في بعض المستشفيات العسكرية أي أنها تخص الجنود ووفاة واحدة بالسل في مستشفى الداي العسكري بالجزائر العاصمة عام 1838، وجرب المؤلفون طرق مختلفة لمقارنة معدلات السل بين الأوروبيين والجزائريين، حاولت المقارنة بين المصابين بالسعال خلال فصل الشتاء والربيع (أوائله) ****** تعلم أن جميع المباني الدينية هي في عمومها باردة ذلك فإن أية إصابة في الجهاز التنفسي تظهر على شكل سعال،[1] في ظل مناخ مختلف أشد على استفحال الداء بين الأفراد فإن الوفيات كانت أقل بكثير في الجزائر منها في فرنسا وإيطاليا حاول جان جول قويي طبيب وعمدة سابق لمدينة الجزائر دراسة تأثير المناخ الجزائري على السل الرئوي من خلال مسح أشرفت عليه الحكومة وشارك فيه 125 طبيب مدني وعسكري وسخرت له سجلات المستشفيات والحالة المدنية، هذه الدراسة 2600 وفاة بالسل من مجموع 94000 حالة وفاة لأسباب مختلفة.

- وفيات 3% في صفوف الجيش.

- معدل الوفيات بالسل في أوروبا 25 و30% ويرى "موزون" أن الوثائق المتعلقة بتاريخ السل قبل عام 1830 تكاد تكون منعدمة.

لاحظ فوكرون (Fouqueron) أن الأمراض الصدرية نادرة وتوصل بروسيbroussais إلى الاستنتاج نفسه عام 1846 المؤكد أن نسبة ظهور هذا المرض أقل بكثير في مستعمراتنا[2] الإفريقية مما هي عليه في فرنسا وإجماع هؤلاء على الاحصائيات المنشورة في سجل الوفيات.

[1]- مصطفى الخياطي، المرجع السابق، ص 178
[2]- مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص 179.

الاحصائيات المنشورة في سجل الوفيات:

الشكل رقم 07:

المرض	1839	1841	1842	1845
ذات الجنب	3	2	10	/
الالتهاب الرئوي	52	23	31	/
ذات الرئة	32	11	/	/
الاستهلاكي	17	34	42	36

ظلت فكرة ندرة الحالات من مرض السل سائدة بين الأطباء العسكريين طيلة القرن 19 وكان المناخ المعتدل الذي تمتاز به السواحل الجزائرية هو التفسير الأكثر شيوعا[1] بلغت الوفيات بهذا الداء نسبة 1% من النسبة العامة وهي 14.15 بينما سجلت معدل 1 من 8 في لندن و1 من 5 في باريس و1 من 8 بنابولي وقال الطبيب محمد بن شعوة وهو كثير المشاركة في المؤتمرات كان ينظمها مستشفى الداي بالجزائر 1848 حول الأمراض الصدرية المسجلة في قسنطينة فقال السل اعترف بانتشاره في قسنطينة "هذا المرض غير قابل للشفاء وشديد العدوى، والأسر المصابة به يحجر عليها" وبخصوص علاج هذا المرض أضاف الأطباء (وكان يخاطب الأطباء الفرنسيين يرهقون المرضى بالاستدماء والجبائر ويتركون العرب)[2].

وكتب فيدال (Vidal) في تقرير أعده بمشاركة برومسفيك Brumsufic مؤكدا أن نتائج البحوث تتيح لي القول أن مسؤولية الس لفي معدلات الاعتلال والفيات بين أطفال الأهالي في الجزائر وقدم جيلو V.Gillot أرقاما تتعلق بوفيات السل جاءت على النحو الآتي 41.98 % لدى المعمرين 25.84% لدى أطفال المعمرين المولودين في الجزائر 27.98% لدة المعمرين بالجزائر و 2.75% لدى المسلمين المغتربين (المغرب ومالي) ووصل معدل الوفيات بالسل 2% بالجزائر العاصمة 1838 وارتفع 7.5% 1860 و 14.69% في عام 1905.

ودراسة كالميت Calmette معهد باستور الجزائر استنتاجات على النحو الآتي:

[1]- نفسه، ص180
[2]- نفسه ص 181

- أن عدوى السل أقل شيوعا لدى الجزائريين (بما في ذلك الصحراء)
- أعلى نسبة الإصابة بالسل تسجل في المناطق الساحلية وأدناها في المناطق الصحراوية
- بالنسبة للمناطق الجغرافية الكبرى (التل والهضاب العليا والصحراء) تتوقف درجة الاصابة بالسل لدى الجزائريين على عوامل معينة [1]
- ترتفع الاصابة في حالة القرب من الأحياء الأوروبية
- البدو الرحل والمجموعات المستقرة في أماكن متوقفة أقل اصابة بالسل من أهل المدن، تسجل اصابات السل نسبة أعلى لدى الساكنة المستقرة التي تكون على اتصال دائم بالأوروبيين، تؤكد هذه الدراسة الانطباع الذي تشكل لدى المجموعة الأولى من الأطباء الاستعماريين حيث لاحظوا ندرة الاصابات بالسل بين الجزائريين في السنوات الأولى من الاحتلال ومعدل الوفيات بالسل ما بين عامي 1913-1925 لدى كافة الفئات 36.2% لكل 10000 نسمة [2] يتضح من هذه الاحصائيات أن السل في المدن الكبرى كان أكثر شيوعا لدى الجزائريين[3]

عوامل انتشار السل: كان السل معروف في الجزائر عند مجيئ المستعمر باسم مرض الضعف، تأثير الوضع الاقتصادي والاجتماعي والصحي في انتقال السل وشدة خطورته واستمر هذا الوضع إبان الاحتلال وتميزت بالحروب والمجاعات والنزوح الريفي والفجرة إلى فرنسا، خلال الحرب العالمية الأولى كان الاتصال بين 100.000 جزائري مجند إلى جانب الأوروبيين، وكان السل في أنحاء فرنسا[4]

أدت سياسة السلب والنهب التي مارستها فرنسا في الجزائر إلى سحق الطبقة الريفية الجزائرية، وحولتها إلى جماعات نازحة باتجاه المدن بحثا عن لقمة العيش، تدهور الأوضاع الغذائية والصحية والمعيشية، أصبح الجزائريون يتخبطون في ظروف معيشية صعبة الاكتظاظ وسوء التغذية، قلة النظافة، مما شجع على انتشار السل في أواسطهم ومذ ذلك الوقت دخل السل القاموس الجزائري[5]

[1]- مصطفى الخياطي، المرجع السابق، ص182
[2] - نفسه، ص183
[3]- نفسه، ص184
[4]- مصطفى الخياطي، المرجع السابق، ص186
[5]- نفسه، ص187

ومرض السل من أشهر الأمراض التي عرفتها الجزائر حيث ضرب هذا المرض الجزائر خلال سنة 1782م حوالي 26 مرة وعرفت مدينة الجزائر حالات بالإضافة هذا الداء نتج عنه انخفاض عدد السكان [1]

أغلب المصابين بهذا المرض هم من فئة الشباب إذ يتراوح سنهم ما بين 15 وحتى 30 سنة وهذا ما أكده الدكتور بيرو رئيس الأطباء بالمستشفى المدني الذي أشار إلى وجود 140 حالة وفاة بالمستشفى ما بين سنتي 1859/1856م وفيما يلي بعض الإحصائيات حول ضحايا المرض في بعض مستشفيات مدينة الجزائر

- من 1838/1836م توفي 42 شخص مصاب بالسل في المستشفيات العسكرية[2]
- من 1857/1840م الاحصائيات الصادرة عن المستشفى العسكري لمدينة الجزائر ما بين 18521859م

جدول 08:

السنوات	1852	1853	1854	1855	1856	1857	1858	1859	المجموع
مرض السل الرئوي	130	136	120	146	172	203	199	233	1339

[1]- حمودي هدى، مصباحي حيزية، المرجع السابق، ص 31

[2]- يونس فهيمة، عثمان سلوى، الطب في الجزائر خلال العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي 1882/1518، ماستر، جامعة اكلي محند اولحاج، البويرة، 2016، ص60.

4- أمراض العيون:

انتشرت امراض العيون بالجزائر بشكل لافت جعل العديد من التقارير تصنفه في المرتبة الثانية بعد الأمراض الزهرين، وتتنوع الإصابة بالعيون بين ثلاث أشكال أولا: الالتهاب الحبيبي granuleuse، ثانيا: الملتحمة Trichiasis والتهاب القرنية Kératites والقيحي Purulente والنوع الثالث التهاب القزحية L'iritis والزهري Conjonctive syphilitique والتهاب العدسة Cataractes [1]، وعلى رأس كل تلك الأنواع مرض الرمد الحبيبي ويعتبر أخطر على العيون وأكثرها انتشارا، كما يعرف بأسماء أخرى حسب درجة الالتهاب، وقد يؤدي هذا المرض إلى فقدان البصر فالرمد الحبيبي مرض مزمن ومعد وعفن منتشر في كل البلاد، حيث تظهر على العين حبيبات في ثخانة الغشاء المخاطي وفي الأجفان بداية الجفن العلوي، ثم تنتشر داخل العين فقد تصل إلى الجفن السفلي ومن أعراضه الأرض وألأم الرأس وحمى شديدة وسببه المباشر هو التعفن [2]، ويقول ماتيس Mathis أننا لاحظنا في هذا المرض أن يؤدي إلى فقدان البصر.

وعن الأسباب المختلفة للإصابة بأمراض العيون ترجعها العديد من الدراسات إلى عوامل طبيعية وبشرية ومناخية مثل الضوء والحرارة والغبار والرياح الشديدة خاصة رياح الجنوب السيريكو وعوامل بشرية مثل الأوساخ المتراكمة في المدن والازدحام وموسم جني فاكهة الصبار[3]، كذلك المساكن والأكواخ القذرة والرطبة مما يتسبب في انتشار المرض حيث يؤكد Brault أن أمراض العيون والتهاباتها تنتشر بشكل أكبر عند السكان المستقرين من الرحل، الذين يسكنون الخيام فعدم وجود التهوية فيها يؤدي إلى انتشار الأمراض المعدية خاصة أمراض العيون وحتى العمى، بالإضافة إلى تفشي الرمد الحبيبي المرتبط بالتهاب العين الحاد [4]، وفي أوت 1847م أصيب سكان في البليدة بمرض العيون القيحي، وقد أثبت أن أغلب هؤلاء ممن ينامون أمام نوافذ مفتوحة أحيانا طوال الليل.[5]

[1]- J.Brault, Op,cit, P54
[2]-M.Mathis, Op,cit, P441
[3]- J.Brault, Op,cit, P52
[4]- IPID, P104
[5]- Adolphe armand, Op,cit, P 407

إضافة إلى الأسباب سالفة الذكر يذكر العديد من الأطباء على أن البرودة والرطوبة الليلية التي تعقب الحرارة الشديدة للنهار تسبب المرض خاصة في المناطق المنخفضة كالأودية والسهول، فيذكر فيرناري Furnani أن من بين الأسباب الضوء الساطع الذي تعكسه الأسكح البيضاء الساخنة، وكذلك الحرارة المرتفعة وجفاف الجو في النهار والرطوبة في الليل وانعدام النظافة عند السكان، والغبار ولدغات الحشرات أمراض السفليس والجدري، ومسح السكان أعينهم بالصوف المتسخ وحلاقة الرأس وكذلك الوحل الذي يغمر السكان في الشتاء ويضيف كذلك بعض العادات السيئة مثل نفخ النساء للنار من أجل الطبخ وإعداد الخبر فيؤثر الدخان على العين، أو بفعل الجير والكلس الذي يسقط على العيون أثناء تبييض المنازل، وفي الصيف أشواك الصبار أو ما يسمى بالتين البربري بفعل عملية جنيه أو الرياح التي تحمله، فيعاني الخص من جراءه عدة آلام وقد يصاب بالعمى.[1]

فالرمد الحبيبي هو مرض الفقر وكانت أكثر فئة مستهدفة منه في الجزائر اليهود لأنهم يعيشون في مناطق منعدمة النظافة، عكس قاطني المدن، وهو مرض معد يتطور وينتشر بسرعة فبين جوان وجويلية 1850 انتشر المرض في كل من دلس والبليدة على التوالي، وبين سنوات 1859 و1861 تم تشخيص 27 حالة اصابة في مستشفى دلس فقط من 423 مريض، وفي أوت 1847 في منطقة البليدة أصيب السكان بمرض العيون اليحي، وقد اثبت أن أغلب هؤلاء ينامون أمام نوافذ مفتوحة طوال الليل، وقال الطبيب بيرتراند أن الوباء الذي أصاب منطقة ثنية الحد في سبتمبر 1847 بسبب تغيير مفاجئ للجو وهبوب الرياح، فالتغيرات القصوى لدرجة الحرارة والتحول المفاجئ من الحرارة المحرقة إلى الرطوبة الباردة أدت إلى تهيج العين واصابتها بالخلل، كما تلعب رياح السريكو دورا في تضرر العين بسبب الأملاح الموجودة في الرمال، حيث تم تسجيل إصابات في مدينة تنس في أوت 1847 إثر هبوب رياح قوية من الشرق.

ومن 7 مارس 1865 إلى جانفي 1866 تم فحص ومعالجة 3000 مريض في كل من مدينة الجزائر والبليدة وبوفاريك والقليعة تم تسجيل بين 85 و 90 مصابا من 100 مريض منهم 65 طفلا، أما في الصحراء فالإصابات كثيرة لارتفاع درجة الحرارة ، أما في جنوب مقاطعة وهران تم تسجيل 256

[1]- furnari, Voyage Médical, Op,cit, P407

إصابة من مجموع 530 مريضا ، وفي منطقة وادي ريغ بالجنوب الشرقي للجزائر سنة 1912 سجلت بنسبة 97 % بمرض التهاب العين الحبيبي لدى الأطفال، وكانت الاصابات في منطقة القبائل والهضاب العليا أقل من تلك المسجلة في سهول متيجة والشلف، حيث كلما ارتفعت الحرارة تكون الاصابات أكثر، وفي مقاطعة قسنطينة كانت نسبة الاصابة بين الأوروبيين 30% في حين كانت بين الجزائريين 60 %.

تكون الاصابات الحادة الوبائية أكثر في فصل الصيف وفي الجنوب، ففي سنة 1840 سجلت أربع مائة حالة في صفوف الجنوب الفرنسيين من مجموع خمس مائة جندي بمنطقة بسكرة دخل منهم مائة وستة وخمسين للمستشفى وأصيب أغلبهم بالعمى، لقد كان يصاب بهذا المرض في الجزائر خمس وعشرون شخصا من بين كل عشرة آلاف ساكن في شمال البلاد، أما في الجنوب فكان يصاب مائة شخص من بين كل عشرة آلاف ساكن، دفع هذا الوضع بالحاكم العام جوتار 1901 إلى شن حملة للقضاء على هذا المرض، بتنظيم عمليات علاج أمراض العيون من بينهما تأسيس عيادة خاصة بمستشفى وهران، ثم عيادة أخرى بمستشفى مدينة الجزائر، ثم عمم المنشور على جميع المدار الأهلية والفرنسية بتقديم فحوصات عامة للأطفال وتقديم الأدوية.

ورغم ذلك تبقى أمراض العيون من الأمراض الأكثر انتشارا مسببة ضررا ومعاناة لسكان الجزائر، في غياب التكفل التام من قبل الإدارة الاستعمارية في ظل النقص الفادح في عدد الأطباء المختصين، فيقول أدولف أرموند أن أكثر من 156 حالة عالجها جراحون عامون وليسوا متخصصين في العيون ، وهكذا كانت أمراض العيون عنوانا لمأساة مستمرة، تضاف إلى عدد الأمراض التي أصابت الجزائريين خلال الحقبة الاستعمارية وزادت من معاناتهم وزادت من معاناتهم.

5- الإسهال وأمراض الأمعاء الغليظة:

هي أمراض تظهر على شكل وباء وتكون خلال الفصل الحار أي في الصيف وتستمر حتى فصل الخريف، وقد تسبب الوفاة خلال أسبوع من المرض على الأكثر، ومن أسباب حدوثها تلوث الجو وسوء التغذية وسوء نوعية مياه الشرب والحرارة المرتفعة والتعب الشديد والاحباط النفسي.

الفصل الثالث

- الأحجار الصحية :
- التطعيم ضد الجدري كوسيلة لمنع العدوى:
- التلقيح عند العرب
- التلقيح الاجباري: (Vaccination Obligatoire)
- رفض التلقيح
- الخدمات الصحية خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر (1962/1830م)

تمهيد

لا يختلف مفهوم الحجر الصحي في التاريخ عن مفهومة المصادر بحيث يختلف عن مفهوم العزل وذلك أن العزل يتم اللجوء إليه للتعامل مع المرضى الذين ثبتت إصابتهم بالأمراض المعدية مثل الطاعون والذين يشكلون خطرا على الآخرين في حين أن الحجر الصحي يتم تطبيقه على الاشخاص الذين من الممكن أن تنتقل لهم العدوى بسبب مخالطتهم لأشخاص مصابين أو بسبب تفشي المرض في منطقة معينة.[1]

وقد احتفظ المورث النبوي بحديث النبي محمد ﷺ: بخصوص الحجر الصحي، من خلال قوله: " إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها فرارا منه" رواه البخاري ومسلم، وانطلاقا من هذا يتضح لنا من خلال هذا الحديث أن قواعد الحجر الصحي كانت معالمها واضحة في فترة تاريخية مبكرة في التاريخ الاسلامي، بحيث دعى النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى عدم الذهاب إلى المناطق الموبوءة حتى لا تنتقل العدوى إلى المسافر إليها وفي نفس الوقت فإن الفرار من المنطقة الموبوءة يتسبب في نقل الوباء إلى مناطق أخرى سليمة[2]

[1]- غراف هجيرة، السلطة العثمانية وآليات الوقاية من الأوبئة في إيالة الجزائر، الحجر الصحي نموذجا، مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، المجلد 07، العدد 2، جامعة وهران أحمد بن بلة، الجزائر، 2020، ص 151

[2]- نفسه، ص 152

المحاجر الصحية:

في بداية الاحتلال ذكرت التقارير أن هناك انعدام لوجود المستشفيات والمحاجر الصحية الأمر الذي جعل قادة الجيش الفرنسي يطالبون الإدارة الفرنسية بتأسيس نظام صحي بالجزائر يتوفر على هياكل صحية على غرار ما كان موجودا آنذاك بفرنسا.[1]

الحجر الصحي في حقيقة الأمر سنة من سنن رسول الإسلام ﷺ : " إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها فرارا منه" الأمر واضح في الحديث وقد عمل به المسلمون والأمثلة كثيرة في تاريخ الطاعون بالجزائر[2] حيث أن كل مرة تمنع السلطة الفرنسية الحج وترجع ذلك لأسباب صحية السلطة الفرنسية دائما تستخدم شبح الوباء وانتشار الأمراض المعدية لردع الجزائريين من الذهاب للحج.[3]

اعترف في وثيقة سرية من وزير الحربية الفرنسي المؤرخة في عام 1830 بنوع من الغطرسة أن حكام الجزائر كانوا يطبقون الحجر الصحي: "منذ أن أقنعهم المسيحيون بأن الطاعون معدٍ وأنه يمكن تجنبه بتحاشي الاتصال مع المصابين له لم يعودوا يرخصون بالدخول للشخص المشكوك فيه ومنذ ذلك التاريخ قلت عدد الحالات لمرض الطاعون إلى غاية 1835"[4]

حيث تميزت المرحلة 1838 إلى 1848 بظهور وباء الكوليرا في عدة مدن جزائرين منها مدينة الجزائر التي أحصيت بها 232 حالة مما استدعى عقد جلسة طارئة للمكتب الصحي لاتخاذ الاجراءات اللازمة حيث تقرر حجر المرضى في مدينة مرسيليا بنسب عدم محجر باب عزون على استيعاب كل المصابين بالكوليرا[5].

[1]- عبد القادر قندوز الطب والأوضاع الصحية بالجزائر خلال العهد الفرنسي (1914/1830)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2016، ص87

[2]- مصطفى خياطي، الأوبئة والمجاعات، مرجع سابق، ص 66

[3]- مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي ،منشورات ANEP ص 49

[4]- مصطفى خياطي، الأوبئة والمجاعات، مرجع سابق، ص 67

[5]- زايدي عز الدين، المؤسسات الصحية الاستعمارية في مواجهة الأوبئة خلال المرحلة الأولى من الاحتلال 1830-1870، أستاذ محاضر بقسم التاريخ، جامعة الجيلالي النيابس، سيدي بلعباس، ص 03

بعد سنوات حلت الكوليرا في الجزائر وانتشرت في جميع أنحاء البلاد بسبب تدابير الحجر الصحي التي لم تطبقها السلطات الاستعمارية اذ سمحت لكثير من السفن التي تحمل المصابين من مرسيليا وطولون بالرسن بل سمح بنقلهم إلى مستشفيات الجزائر[1].

وما بين 1882-1892 منع الحج رسميا بسبب الأوبئة، وفي عام 1907 الحاكم العام جغنار أمر بتحرير الحجاج وبعد أشهر أمر بمنعهم وذلك لأسباب صحية[2]، حيث قامت نشرة صحفية للسلطة الفرنسية لتظهر مصداقيتها بالإعلان عن الكثير من الأوبئة في الوسط الجزائري بالرغم من كل الاحتياطات المتخذة ونفس النشرة ذكرت ظهور وباء الكوليرا في منطقة البحر الأبيض المتوسط مما أدى إلى إصابة بعض الحجاج القادمين من الهند ومن كل أنحاء العالم في نفس الوقت، وأمام هذا الوضع الخطي أمر الحاكم العام بتطبيق الحجر بقراره منع الحج.[3]

ولتطبيق فرض تعميم الشهادات الصحية التي تثبت كون كل سفينة سليمة من العدوى الكوليرا فرض الحجر الصحي على كل سفينة مشكوك فيها لمدة عشرة أيام القادمة من غير فرنسا أما الآتية من فرنسا فيفرض عليه الحجر لمدة 5 أيام فقط كما اتخذت اجراءات صحية أخرى وهي ربط الوضع في الجزائر بمركز من مرسيليا لتنظيم العمليات الصحية الوقائية.[4]

أما عن الاجراءات المتخذة يمكن حصرها في:

يتم اخطار السلطات الجزائرية بمرض الكوليرا أن يتم وضع بعض الاجراءات كالحجر الصحي للقوارب عندما يتم الابلاغ عن حالات المرض من طرف الركاب وكانت تعالج أو يطبق عليها الحجر الصحي.[5]

وحتى الاجراءات الطارئة التي واجهت بها الإدارة الفرنسية أو اللجنة الصحية وباء كوليرا:

- كل السفن القادمة من موانئ المشرق مجبرة على تقديم شهادة صحية على خلو السفينة من المرضى

[1]- مصطفى خياطي، الأوبئة والمجاعات، مرجع سابق، ص 68
[2]- مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص 50
[3]- نفسه ، ص ص 50-51
[4]- عبد القادر قندوز، مرجع سابق، ص 88
[5]- مجاهد يمينة، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي، مرجع سابق، ص 51

- فرض الحجر الصحي لمدة تتراوح ما بين 05 و 15 يوما على البواخر الآتية من الموانئ المؤبرة.
- تطبيق اجراءات احترازية على السفن المشكوك فيها صحيا ووضع ركابها في المحاجر الصحية.[1]

اضافة إلى نظام الحجر الصحي، فرضت اجراءات وقائية شديدة على كل البضائع المشكوك فيها بحيث تمر بعملية التبخير والتقطير في المحجر الصحي أما البضائع والسلع فيكون مآلها العرق وتوضع تحت الشمس لمدى ثلاث أسابيع.[2]

ولتطبيق فرض تعميم الشهادات الصحية التي تثبت كون السفينة سليمة من العدوى الكليورا فرض الحجر الصحي على كل سفينة مشكوك فيها لمدة 10 أيام القادمة من غير فرنسا أما الآتية من فرنسا فيفرض عليها الحجر لمدة 5 أيام فقط كما اتخذت اجراءات صحية أخرى وهي ربط الوضع الصحي بالجزائر بمركز مرسيليا لتنظيم العمليات الصحية الوقائية.[3]

وللحد من انتشار وباء الكوليرا اتخذت بعض الاجراءات المتمثلة في الحجر الصحي ومراقبة وفحص كل السفن الأتية من وهران وفي المقابل مراقبة ميناء الجزائر مستغانم وأرزيو ووضع كل السفن تحت الحجر الصحي لمدة 07 أيام بالإضافة إلى تعيين عيادة في الجيش لاستقبال المرضى [4]، كان سكان الريف أكثر عرضة للأوبئة والأمراض المعدية لتوقيف الأوبئة كالتيفوئيد (typhoïde) الذي كان مزمنا وسريع الانتشار وقت الندرة تم ارسال المساعدين الطبيين إلى الدواوير أن كانوا يتحدون تدابير العزل والتعقيم الصارمة كان يتم عزل المصابين في كوخ الحجر الصحي المكون من قاعتين واحدة للرجال والأخرى للنساء [5] طول فترة الاستعمار كانت السلطة الفرنسية تضغط بشكل كبير على الحجاج بسبب خطر انتشار الأوبئة والأمراض المعدية فقد

[1]- بن الشيخ حكيم، المنظومة الصحية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر (1962/1830)، دكتور بجامعة يحي فارس، المدية، ص 03
[2]- مجاهد يمينة، مرجع سابق، ص 41
[3]- عبد القادر قندوز، مرجع سابق، ص ص 88
[4]- مجاهد يمينة، مرجع سابق، ص 51
[5]- نفسه ، 133

قامت باختبار الحجاج من بين الوجهاء فخلال الحرب العالمية الثانية كان هناك فقط 273 حاج جزائري من 619 حاج مغربي، وكانت كل مجموعة مرفقة مع وفد طبي[1]

وباعتبار الجهة البحرية ناقلة للأوبئة خاصة الطاعون والكوليرا عبر البواخر التجارية والحجاج من أوروبا كذلك، لذلك أقدمت الادارة الفرنسية الاستعمارية إلى اتخاذ اجراءات وقائية من طرف المجلس الصحي البحري بين 1878-1895 والذي اقترح التدابير الاحترازية التالية:

- إعادة تنظيم المجلس الصحي البحري
- تشكيل محجر للحجاج بالإضافة إلى محطة صحية للسفن المشكوك فيها
- إعادة النظر في تنظيم الحج
- إنشاء محطة صحية في منطقة ماتيفو (lazaret de Matifou)
- تأسيس محطة عبور مغلقة للحجاج لإجراء الحجر الصحي بها[2]

وفي الأخير نستنتج من قوله ﷺ " لا يوردن ممرض على مصح" أي منع زيارة شخص مريض لآخر سليم حتى لا تنتقل وهذا تطبيقا لمفهوم الحجر الصحي، هذا إضافة إلى العديد من المواقف التي حصلت مع صحابة الرسول رضوان الله عليهم تختلف بمفهوم الحجر وطرق التعامل مع الأوبئة والأمراض المعدية وعلى هذا الأساس يمكن القول أن تدابير الحجر الصحي ليست جديدة ولا مستحدثة بالنسبة للشعوب الاسلامية.[3]

[1]- مصطفى الخياطي، الطب والأطباء في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص 51
[2]- عبد القادر قندوز، مرجع سابق، ص ص 89 90
[3]- غراف هجيرة، مرجع سابق، ص 152

التطعيم ضد الجدري كوسيلة لمنع العدوى:

كان التطعيم معروفا لدى الجزائريين قبل الاحتلال ولم يكن ممارسا في أوروبا ابتكر الأطباء العرب التطعيم ضد الجدري الذي كان شائعا في العالم الاسلامي وفي الجزائر يمارس الطبيب ويمارس في القديم باحداث فتحة صغيرة في لحمة اليد الواقعة بين الابهام والسبابة، ويقوم[1] الشخص الذي يجري العملية باقتناء ابرتين أو ثلاث إبر من الصديق أو الجار المصاب بمقابل يتسلمه المانح وسميت العملية بشراء الجدري.

ممارسة سكان المغرب التلقيح بتقنيات مختلفة وكتب لوي سان سوفور شينيه "التطعيم معروف في المناطق الداخلية لكنه يمارس دون تهيئة مسبقة" خلافا لليونانيين الذين تبنوه وصدروه إلى أوروبا[2]

يمارس التطعيم عند البربر بين الابهام والسبابة ويتوقف شكلها المشوه على نوع الخدمات المستخدمة أما الشاوية فبعضهم يلقح على مستوى العضلة الدالية والبعض الآخر على مستوى الجزء العلوي من الكتف، أما التوارڤ يمارسون التلقيح على أجزاء مختلفة من الجسم والطرائق المستعملة في التجدير متعددة وأكثرها شيوعا هي البحث عن مصاب بنوع بسيط من الجدري [3]، لتؤخذ منه بثرة ناضجة يتم فتحها ورفع قيحها بواسطة قطعة قماش نظيفة أو قطعة صوف ثم يحدث شق في جسم الطفل غي المصاب ويفرك الشق بالقيم مرات عديدة وتختلف الأماكن التي يحدث بها الشق من السبابة إلى الأصبع الأوسط إلى الجزء الخلفي من شحمة الأذن إلى ثنية الكوع إلى الكتف إلى الذراع إلى باطن الفخذ بعيد التلقيح يترك الطفل في مكان دافئ ويقدم له الشراب من أعشاب إلى أن يظهر الجدري.

بعد مواجهة الكثير من التحفظات استطاع التلقيح ضد الجدري فرض نفسه في نهاية المطاف وبعد قرن اختفى الجدري في عدة مناطق وكانت آخر حالة معروفة من الجدري في العالم

[1]- مصطفى الخياطي، مرجع سابق، ص 78
[2]- مصطفى الخياطي، مرجع سابق، ص 79
[3]- مصطفى الخياطي، مرجع سابق، ص 80

سجلت سنة 1977 في الصومال وفي عام 1980 أعلنت منظمة الصحة العالمية استئصال هذا الداء.[1]

لماذا رفض الجزائريون التلقيح في بداية الاحتلال؟

استعمال التعليم والطب في عهد احتلال الجزائر لعبة سياسية من قبل السلطات الاستعمارية في 28 جوان 1848 صدر قانون يحدد شروط التلقيح لكن اصطدم بمقاومة من قبل الجزائريين الذين لم يفهموا مبادرة الاحتلال الذي جردهم من كل شيء وقتل آباءهم وهدم مساجدهم ثم خرج بالزي العسكري منشغلا بصحتهم وصحة أطفالهم وعلق غويون على الوضع "لطالما واجه التلقيح في عهد الاحتلال الفرنسي صعوبة كبيرة في الجزائر [2] إذ قال بعض الأطباء قد واجهنا معارضة شديدة من قبل الأهالي للقيام بعملية التلقيح [3] " في سنة 1834 جرب الطبيب بيسكاو التلقيح على الجنود الأهالي في الجيش الفرنسي وبعض القبائل العربية .

وفي سنة 1835 رخص المتعرف المدني للدكتور بوزان pouzin بإجراء تلقيح مجاني لجميع الجنسيات وقيام الدكتور سانتي Santé 1844 رئيس فريق الأطباء بمستشفى قليعة بلتقيح 227 من سكان العرب.

قيام السيد جيسكار 1832/1834م نشط التلقيح في المناطق المحتلة[4] نفور الأهالي من التخلي عن طرقهم التقليدية في التطعيم ضد الجدري واعتقاد المسلمين أن الهدف من التلقيح ترك علامة بارزة على العرب على أجسادهم.

[1]- مصطفى الخياطي، مرجع سابق، ص 80
[2]- نفس المرجع السابق، ص 82
[3]- يونس فهيمة، عثمان سلوى ، الطب في الجزائر خلال العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي 1882/1518، ماستر، جامعة اكلي محند أولحاج، 2016- ص69
[4]- مصطفى الخياطي ، المرجع السابق، ص 83

وكانوا يقولون على رأس زعماءهم أنهم يفضلون رمي آباءهم في البحر على جعلهم يعملون علامة تسمح لهم بالتعرف عليهم ذات يوم ورفض آخرون مزج الدم العربي بالدم المسيحي أي كان الجزائريون يرفضون كلما يأتي من الاحتلال.[1]

التلقيح عند العرب:

بالإضافة إلى نقطة مهمة وهي مشكلة التلقيح عند العرب فقد تم الحفاظ على عادات الجزائريين في معالجتهم وطريقة تطعيمهم ضد وباء الجدري فمنذ دخول الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر سنة 1830 اهتمت الإدارة الفرنسية لتعويض طريقة التطعيم وهي عدم أخذ قبح الجدري من سقيم إلى صحيح وإدخاله فيه بطريقة التلقيح الجارية في الوقتا لحالي فلقيت هذه الطريقة معارضة شديدة من قبل الجزائريين الذين رفضوا التلقيح مما أجبر بعض ا لأطباء الفرنسيين إجبار المسلمين على التلقيح لتفادي انتشار الوباء.[2]

لقد أثبت بعض الأطباء الفرنسيين بحك احتكاكهم ومشاهدتهم وإقامتهم لمدة طويلة بالجزائر وعلى رأسهم الدكتور برتوران Berthoprand الذي حرر تقرير سنة 1877 بعثه إلى الحكومة الاستعمارية يشرح فيه استهزاء ورفض الجزائريين للتلقيح ويطلب إبقاء التطعيم على حالته عند المسلمين من سكان الجزائر.

فهنا التلقيح سيتوصل لا محالة إلى التخفيف من مضار داء الجدري وتقليل أهواله والسماح لم بممارسة التطعيم بطريقهم القديمة في تطعيم الجدري فهم مقتنعين أنها الطريقة المثلى في الشفاء[3]

[1]- نفسه، ص 84
[2]- مجاهد يمينة، مرجع سابق، ص 83
[3]- نفسه، ص 83

التلقيح الاجباري: (Vaccination Obligatoire)

لمجرد ظهور حالات ولو مشبوهة لمرض وبائي مثل الجدري أو السل أو غيرها من الأمراض تقوم المصالح الصحية لجيش التحرير الوطني بتلقيح كل أفراد الجيش وسكان المناطقة المحرمة كما تتم عمليات التطعيم باستمرار خاصة التطعيم ضد الكزاز[1].

رفض التلقيح:

نظرا لما شهدته الجزائر أثناء السنوات الأولى للاحتلال وأمام شدة الأوبئة المتمثلة في الكوليرا والتيفوس والجذري الذي أودى بحياة عدد كبير من الجزائريين وتسبب في انهيار ديموغرافي ملموس، وأمام هذه الوضعية ظهر مشروع طبي جديد والمتمثل في عملية التلقيح[2] الذي هو عبارة عن نوعي للتطعيم الذي كان ممارسا فيما مشى في أسيا، الشرق الأوسط وشمال افريقيا وكان من الضروري العثور على حالات مرضية لاستخدامها في الوقاية من الأوبئة أو علاج بؤري العدوى[3] فكلف الطبيب شيرورا Dr. Cheroura بهذا المشروع وتم تطبيقه في مدينة الجزائر.

ثم مدينة القليعة تحت اشراف الدكتور جيسكارد Dr.Gaiscard وكلف الدكتور بوزان Dr.pouzin سنة 1835 بالإشراف على عملية التلقيح في مدينة الجزائر كل يوم خميس ولقد سبقت عملية التلقيح (Vaccination) عملية الالقاح (Inoculation) وهي زيارة تفقدية قام بها مجموعة من الأطباء للمناطق التي حل بها الوباء بحيث يقوم بإخراج المرضى المصابين بالوباء من ديارهم ووضعهم تحت ظل الزيتون المحيطة بالقرية ثم وضعهم في خيام على قمم الجبال المحيطة بمنطقة دلس وتم تعقيم ملابسهم وغسل ثيابهم وتعتبر هذه الطريقة كإجراء أولي قام به الأطباء الفرنسيون أثناء اجتياح وباء الجدري لمناطق من الجزائر سنة 1832 وأودى بأعداد كبيرة من السكان واعتبار من سنة 1847 جاء الدكتور أنيلي (Agnelly) باعتباره مدير التطعيم العمومي للقيام بمهمة نشر تلقيح الجدري في الجزائر ويؤسس النص المؤرخ في جوان 1848 حيث أحدث لجان جزائرية للتلقيح من تحديد أجر القائم على العملية (0.50) سنتيم للتلقيحات الناجحة [4]

[1]- مجاهد يمينة، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1962/1830، دكتوراه جامعة وهران1 أحمد بن بلة، 2018، ص 343
[2]- المرجع نفسه، ص 73
[3]- مصطفى الخياطي، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، تر حضرية يوسفي، منشورات ANEP، 2019، ص 82
[4]- مجاهد يمينة، المرجع السابق، ص 74

وقدرت الميزانية المالية المفتوحة عام 1848 بـ 2450 فرك، ليرتفع إلى 6600 فرنك في السنة اللاحقة وهذه القيمة اقتطعت من موارد المستشفيات وينخفض عدد المرضى الذين يقصدون المستشفيات بسبب التلقيح.

أما عن مدى تقبل مرسوم 28 جوان 1848 الذي يحدد شروط التلقيح فقوبل بالرفض التام من طرف الجزائريين فيذكر الدكتور برتراند bertrand أنه قام بجولات عديدة في مدينة الجزائر عام 1849 وتمكن من الدخول إلى الأكواخ لعلاج النساء والأطفال وأما التلقيح فلا مجال أمامه ويضيف (لقد واجهنا معارضة شديدة من قبل المسلمين الجزائريين الذي تحدثنا إليهم لمحاولة الدعاية لصالح إجراءات وقائية ووصلنا إلى نتيجة نتائية وهي " من المستحسن تركهم يصلون إلى إدراكها بمحض إرادتهم")[1].

ومن ناحية العلاج الذي اقترحه الأطباء الفرنسيون كان مخيبا للإدارة الفرنسية التي ربطت العمل الصحي بالهدف الاستعماري ونتيجة لذلك لم يلقى مشروع فرنسا الاصلاحي الصحي تجاوبا وقبولا في أواسط الشعب الجزائري حفظا لكرامتهم وعدم ثقتهم بالطب الفرنسي وتمسكهم بطرق العلاج التقليدية الموروثة من الأجداد وثقتهم فيه متأكدين أنه سيقي هم من الأوبئة وتشفيهم من الأمراض لذلك رفضوا الطب الفرنسي ونفروا من وسائل علاجهم[2]، وبالتالي فهو أمر حتمي لأن الجزائر إلى قبلت العلاج الفرنسي يعد ذلك اعترافا منه بالفرنسيين رفضوا كل ما هو فرنسي حتى وإن كان على حساب صحتهم[3]، فالمعالجة والطب المجاني كان مقبولا لكن التلقيح لقي رفضا كبيرا ليس في الجزائر فقط بل في مناطق عديدة من الوطن مثل قسنطينة، واد زناتي، وتبرز تقارير الأطفال الملقحين سنة 1851 بلغ 52 طفل فقط، وسنة 1852 انخفض العدد إلى 17 طفلا رغم تكاثر الأوبئة والأمراض ولم يلاقي التلقيح ترحيبا كبيرا فمثلا في خريف 1851 سجل انتشار كبير لوباء الجدري في بوني بعنابة وكانت نسبة الوفيات عالية رغم ذلك ظل التلقيح مرفوضا رفضا قاطعا رغم نداءات والتوجيهات المقدمة للسكان من خلال شرح فوائد وإيجابيا التلقيح إلا أن الرفض بقي قائما ونفسها سنة 1852 وسجلت سنة 1875 انتشار لوباء الجدري في مناطق مثل

[1]- نفسه ، ص 74
[2]- يونس فهيمة، عثمان سلوى، المرجع السابق، 68
[3]- نفسه، ص 68

شرشال، برج بوعريريج بجاية، سعيدة، وأودى سنة 1862 بعدد كبير من السكان إلا أنه رفض التلقيح وبقي قائما [1]، في سنة 1851 كانت محاولات عديدة لتلقيح عدد أكبر من الأهالي الجزائريين ومحاولتهم بائت بالفشل وكان أكبر عائق عند الجزائريين هو الفكرة التي مفادها أن التلقيح ما هو إلا علامة توضع للأطفال للعثور عليهم مستقبلا وتجنيدهم في الجيش الفرنسي فنشر الأفكار عن طريق المدارس والزوايا والجرائد كجريدة المبشر والتي كانت تنهي عن التلقيح وتنشر أخبار عن عزم الحومة على افتكاك الأطفال العرب من ذويهم قصد أرسالهم إلى فرنسا هذا أدى بإصدار قرار سنة 1858 يمنع التلقيح الجماعي كرد فعل للمعلومات التي تحصل عليها الحاكم العام والتي مفادها أن التلقيح يجري بصفة ناجحة بينما نشرت أخبار أخرى مفادها عكس ذلك مما ولد مخاوف وسط المسلمين ما أرغم السلطات على إيقاف عملية التلقيح إلى إشعار آخر[2]، بالفكرة التي كانت راسخة في أذهان العرب هي أن الفرنسيين كانوا يبحثون عن وسيلة للتقرب من الجزائريين من خلال الأعمال الخيرية والوقائية فالتلقيح في نظرهم لم يكن عملا طبيا وإنما كان ممارسة سياسية إذا يعتقد العرب أن تلقيح أبناءهم كان يهدف إلى وضع علامة تميزه لغاية سياسية، أدت الصعوبات إلى إصدار قرار 23 جويلية 1858 والذي منع عمليات التلقيح وكان يجب انتظار سنة 1868-1869 لإعادة المحاولة من جديد[3]، فرفضت قبائل أعراض عملية التلقيح والتطعيم من بينها سكيكدة، مدية، تنس، وصرح أحد الأطباء أن عملية التلقيح لم تجري حسب رغبتهم وأصبحوا يصادفون النية السيئة من قبل العرب لهذ السبب شعر الأهالي بمخاوف كبيرة من الطب الفرنسي.[4]

لم يكن عملا طبيا وإنما كانت ممارسة سرية استعمارية وأمام هذا الرفض قامت السلطات الفرنسية بتوقيف عملية التلقيح مؤقتا لكن رغم ذلك استمرت بالمحاولة فكفلت الأطباء الجزائريين الذين تخرجوا لتلقيح الأهالي إذ قال بعض الأطباء "تواجهنا معارضة شديدة من قبل الأهالي للقيام بعملية التلقيح،[5]

[1]- مجاهد يمينة، المرجع السابق، ص 74
[2]- نفسه ، ص 75
[3]- مجاهد يمينة، المرجع السابق، ص 75
[4]- يونس فهيمة، عثمان سلوى، المرجع السابق، ص 68
[5]- نفسه، ص 69

وهناك من يرى التلقيح جانب من الوقاية يخص تلقيح أفراد الجيش وكذلك المدنيين المتمركزين في المناطق المحرومة ضد الجدري والكزاز والتيفويد والشلل والسعال"[1].

الجدول 09: جدول تلقيح المسلمين

السنة	مقاطعة الجزائر	البليدة	سكيكدة	عنابة	قسنط4ينة	مستغانم	وهران	المجموع
1849	171	22	18	27	4	-	1617	1879
1850	150	26	9	-	10	280	25	500
1851	2220	24	20	-	139	3	243	2649
1852	4664	412	2	133	307	-	-	5518
1853	229	706	260	6	31	148	2248	3628
1854	1217	29	1324	3347	2120	926	-	8763
1855	5584	42		20	7	1932	-	-
1856	757	3707		46	4	202	7	1387

من خلال هذا الجدول يتضح أن عدد الملقحين كان ضئيلا وترجع أسبابه[2] إلى الاعتقاد الشائع في الذهنيات الجزائرية التي كانت تخشى من تلقيح أبناءها لعدة اعتبارات أهمها الإشاعة التي رسخت في أذهان الجزائريين وهي ترك إشارة على أجسادهم لتجنيدهم فيما بعد لخدمة الجيش الفرنسي، كذلك التخوف من اللقاح كونه سم يؤدي إلى شلل الملقح مع اشاعة أخرى مفادها القضاء على الجنس العربي، هذا ما أدى بالقبائل إلى رفض تلقيح أطفالهم، سنة 1852 ويلاحظ ارتفاع حملات التلقيح Compagne de vaccination بمقاطعة الجزائر حيث بلغ عدد الملقحين 4664، وفي سنة 1853بوهران بلغ عددهم 2248، وفي سنة 1854 بسكيكدة 1324 وعنابة 3347 وقسنطينة 2120 وفي سنة 1855 بلغ عدد الملقحين بمقاطعة الجزائر 5584 ومستغانم 1932 وسنة 1856 عدد الملقحين بالبليدة بلغ 3707[3].

[1]- دردور سمير نور الدين، الخدمات الصحية أثناء الثورة التحريرية، 1962/1954، دار هومة للنشر، ص 49
[2]- مجاهد يمينة، المرجع السابق، ص 76
[3]- نفسه، ص 76

ويمكن أن نفسر سبب ارتفاع عدد الملقحين خلال تلك السنوات في بعض المناطق دون غيرها إلى تمركز العناصر الأوروبية خصوصا في المدن الكبرى وعلى رأسها مقاطعة الجزائر وكذلك إلى كثرة الأوبئة والأمراض خلال تلك السنوات[1]، ولهذه الأسباب توقفت عملية التلقيح إلى غاية 1868 حيث كلف الجنرال "ديفو" الذي قام بتكوين الأطباء العرب وكلفهم بتلقيح الجزائريين ولم يغير وباء الجدري شيئا في المسألة فقد توفي 150 طفل من بين 400 مصاب في تلمسان عام 1885.

وبقي رفض التلقيح قائما ففي عام 1862 حل وباء الجدري بمنطقة عين تموشنت فرغم الاشهار الذي قدم حول منافع التلقيح إلا أنه لوحظ عزوف المسلمين والشيء نفسه لوحظ بمدينة سيدي بلعباس إن الاشمئزاز والنفور من الطبيب والمستشفى واللقاح كان ظاهرة شائعة جعلت الجزائريين ينفرون من أبسط تقنيات العلاج الفرنسي وفضلوا المعالجة التقليدية المقترحة من طرف الطلبة والمرابطين وتحملهم للألم والوجع على أن يقصدوا الطبيب الفرنسي [2]

الهياكل الصحية (المستشفيات ، المراكز الصحية)

احصائيات لعدد الأطباء:

قامت السلطات الفرنسية بمضاعفة عدد الأطباء وذلك خوفا من انتشار الأمراض في صفوف الجيش ولتوضيح عدد الأطباء يمكن النظر في الجدول التالي والذي يوضح لنا نسبة أو عدد الأطباء بالجزائر في السنوات ما بين 1851 و1854 كالتالي:[3]

[1]- مجاهد يمينة، المرجع السابق، ص 76
[2]- نفسه، ص 77
[3]- بن الشيخ حكيم، أستاذ محاضر بجامعة الدكتور يحي فارس، المدية، المنظومة الصحية في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر، 1962/1830، ص 4

جدول رقم 10: الأطباء في العمالات الثلاث الجزائروهران قسنطينة

	1851	1852	1854	1851	1852	1854	1851	1852	1854
الأطباء الفرنسيون	26	27	27	11	13	13	8	7	12
أطباء أجانب	6	7	7	4	3	3	.	.	.
ضباط الصحة فرنسيون	9	8	9	2	3	3	4	5	6
أجانب	3	3	3	.	2	1	.	1	1

تظهر أرقام هذا الجدول مدى قلة الأطباء في العمالات الثلاث الجزائر وهران قسنطينة، حيث نلاحظ أنه لم يحصل تغيير في عدد الأطباء بالنسبة لمدينة الجزائر بينما نلاحظ أنها أفضل بكثير من عمالاتي وهران قسنطينة.

الخدمات الصحية خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر (1962/1830م):

تؤكد المصادر الفرنسية أن الرعاية الصحية والتكفل بالسكان في الجزائر وكذا بناء المستشفيات قد ظهر مع الاستعمار الفرنسي، وقد عوضتها قبل هذا التاريخ المساجد والمصحات والمراكز الصحية الطبية، مما انجر عنه تفشي الأوبئة والأمراض وفي مقدمتها التيفوس، الطاعون، السل...الخ، لذلك قامت السلطات الفرنسية بجلب عدد كبير من الأطباء والمختصين في قطاع الصحة، كما فرضت على كل الجزائريين المتابعة الصحية دون التفرقة في انتماءاتهم الدينية أو العرقية بمقتضى قانون 03 جويلية 1849 حيث وجد هؤلاء الرعاية الكافية وبنفس المستوى مع الفرنسيين القاطنين بالجزائر من خلال إقامة مستشفيات مدنية على غرار العسكرية وفي مقدمتها معهد باستور بمدينة الجزائر سنة 1894 كما انشئت عيادات متخصصة بهدف متابعة الظروف الصحية للأهالي مثلما كان الحال في الحراش وبلكور والجزائر الوسطى وبني مسوس.[1]

[1]- دردور سمير نور الدين، الخدمات الصحية أثناء الثورة التحريرية، 1945-1962، دار هومة للنشر، ص 71

تؤكد الوثائق في الأرشيف الفرنسي قد خصصت بموجب القانون الفرنسي مبالغ مالية بهدف تهيئة المستشفيات في مدينة الجزائر وإعانتها على التصدي للمشاكل المستعصية وقد خصصت 80 مليون فرنك قيمة الاعلانات التي وجهتها إلى كل البلديات في العمالات في الجدول التالي:[1]

جدول 11: الإعانات المالية للجيش الفرنسي لإعادة تهيئة الوسط الصحي بالجزائر

العمالة	الإعانات المالية
بلديات عمالة الجزائر	500.000.000 فرنك
بلديات عمالة وهران	330.000.000 فرنك
بلديات عمالية قسنطينة	400.000.000 فرنك
المجموع	1.230.000.000 فرنك

تذكر الوثائق الفرنسية أن الجيش الفرنسي وجد نفسه ملزما منذ الوهلة الأولى بإعادة تهيئة الوسط الصحي بالجزائر، من خلال بناء مستشفيات ومراكز علاجية وخاصة منها التي خصصت لمحاربة الأوبئة والأمراض المستعصية بناءا على مراسيم وقوانين مكملة منها مراسيم 21 جامفي 1853 المكمل لما جاء في مرسوم 13 أفريل 1845، والذي استحدث بموجبه 60 مركزا ومستوصفا ليصل بعد ذلك إلى 112 مركزا، يمكن القول بأن المنظومة الصحية الكولونيالية كانت إحدى القواعد الأولى للصحة في الجزائر وفي سنة 1904 ظهرت ملحقات صحية مدنية خاصة بالمسلمين الجزائريين في الوقت الذي بدأ فيه العمل بالمراكز بالإضافة إلى الممرضين منذ سنة 1926، التي قدمت اسعافات مجانية للأوروبيين والمسلمين الجزائريين، وقد شهدت بعد ذلك عدة مستشفيات منها: [2]

1/ المستشفيات الخاصة: Hôpital privées منها مستشفى القديسة إليزابيث سنة 1874، بالعطاف، والثاني مستشفى القديسة اوجيني سنة 1894 بمدينة الجزائر، مستشفى لافيجري سنة 1895 ببسكرة، كذلك مستشفى أريس بباتنة سنة 1896[3]

[1]- الوضع الصحي بإقليم الحضنة (الجزائر) ووقع الاحتلال الفرنسي بين 1840-1945، دكتور كمال بيرم، جامعة المسيلة، مجلية معارف، العدد 22، ص 220-221

[2]- نفسه، ص 223

[3]- جدول رقم 02: بن الشيخ حكيم، نفسه، ص 6

المستشفيات الكولونيالية: hôpital coloniales

عمالة الجزائر:

- مستشفى مصطفى باشا بملحقاته
- الدويرة – مليانة – بوفاريك
- حجوط – شرشال – الشلف
- فارنات – سور الغزلان

عمالة وهران:

- مستشفى وهران- سيدي بلعباس
- مستشفى غليزان – مستغانم
- مستشفى عين تموشنت – سيق

عمالة قسنطينة:

- مستشفى قسنطينة – سوق أهراس – بجاية
- مشفى عنابة – جيجل – سكيكدة – سطيف [1]

المستشفيات البلدية:

مستشفى ميلة - واد العثمانية

المستشفى الكولونيالي للأمراض العقلية (العصبية): سنة 1935 بجوانفيل بالبليدة

المستوصفات للمسلمين الجزائريين:

- مستوصف سيدي لحسن تلمسان
- مستوصف بني مسوس سنة 1930
- مستوصف سان أندري بمعسكر

[1]- دكتور كمال بيرم، نفسه، ص 233

- مستوصف الحروش - سكيكدة[1]

لقد ظلت الخدمات الصحية والمنشآت الصحية حكرا على المستوطنين ليس فقط مدينة الجزائر ولكن في كامل القطر الجزائري على الرغم من عدد المراكز الذي كان في تزايد، غير أن طبيعة الخدمات التي كانت تقدمها متدنية لاسيما بالنسبة للمسلمين الجزائريين، لقول أحد الأطباء المستوطنين واصفا أوضاع مدينة الجزائر الكارثية:

"لقد زرنا مؤخرا مستشفيين يبعدان عن العاصمة الأول بـ 200 كلم، والثاني بـ300كم كلاهما يقدمان خدمات لحوالي 100.000 ساكن يحتوي الأول على 120 مكانا والثاني 70 مكانا، جدرانهما جد قديمة وآيلة للسقوط، ويوجد فقط طبيب واحد يمر كل يومين، ولا يوجد جهاز لالأشعة، ثم إن السكان هنا يتعذر عليهم الذهاب للمدن للقيام بالفحوصات إضافة إلى ذلك لا يوجد جراحون ، هذا بغض النظر عن الهياكل المادية الجد مزرية خاصة الأكل والأثاث، ففي مدينة الجزائر تجد مثلا، 128 ممرضا مؤطرا بـ 8000 مريض، في مستشفى مصطفى باشا كان هناك 05 ممرضين و 100 شخص، أما وهران 95 ممرض لـ 4000 مريض وفي قسنطينة 33 ممرض لـ 5000 مريض".[2]

[1]- قندوز عبد القادر، نفسه، ص
[2]- دكتور، دردور سمير، نفسه ص

الجدول 12: الجدول التالي يمثل عينة عن فترة 1882-1883-1884 لاستقبال المقاطعات الثلاث لأعداد المرضى المدنيين:

السنة	المقاطعات	الماكثون من 01 جانفي	الداخلون	الخارجون	507المتوفون	الماكثون في 31 ديسمبر
1882	الجزائر	838	10326	9585	743	836
	وهران	495	6372	5889	507	471
	قسنطينة	533	8764	8138	561	595
	العدد الإجمالي	4866 27328	25462	23.612	4811	1905
1883	الجزائر	836	9985	9202	753	866
	وهران	471	5671	5263	433	446
	قسنطينة	598	9920	9244	620	645
	العدد الإجمالي	1905 481	2576	23709	18.15	1957
1884	الجزائر	866	9920	9257	753	815
	وهران	471	5671	5263	433	446
	قسنطينة	598	9920	9244	629	645
	العدد الإجمالي	1905	25576	23709	1815	1957

الطب والأوضاع الصحية بالجزائر خلال العهد الفرنسي 1830-1914م، قندوز عبد القادر، أطروحة نيل شهادة دكتوراه، العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة جيلالي لياس، سيدي بلعباس، ص 68

وصفوة القول هو أن إدارة الاستعمار وحتى يبقي على صحة المستوطن في أفضل حال فقد عمدت منذ بداية الاحتلال على توطيد دعائم المنظومة الصحية في الجزائر التي كانت موجهة لحماية المستوطنين وكذا اجبارية نشر التلقيح وسط الجزائريين لتفادي انتقال العدوى للمستوطنين، وقد ظلت الخدمات الصحية والمنشآت الصحية حكرا على المستوطنين ليس فقط مدنية الجزائر ولكن في كامل القطر الجزائري على الرغم من عدد المراكز الذي كان آخذا في التزايد يوميا، غير أن الخدمات التي كانت تقدمها متدنية لاسيما بالنسبة للمسلمين الجزائريين.

خاتمة

على مدار التاريخ تحكمت الأمراض والأوبئة في مصير الإنسان على عدة أصعدة صحيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا وكان لها دور مباشر وغير مباشر في النزاعات والحروب بين الدول حيث كان لها تأثير في ترجيح كفة طرف على طرف آخر وهذا ينطبق على وجود الاحتلال الفرنسي بالجزائر الذي كان سببا مباشرا وغير مباشر في انتشار الأمراض والأوبئة بين الجزائريين، وزيادة معاناتهم في ظل السياسة الاستعمارية.

ومن خلال ما سبق ذكره لخصناه في نتائج أهمها:

وبعد هذا العرض ما يمكن استخلاصه هو أن الاستعمار الفرنسي جاء إلى الجزائر بغرض احتلالها، والاستيلاء على ثرواتها واستعباد سكانها ومصادرة أراضيهم ومنحها للمستوطنين الاوروبيين، وذلك دليل على نواياه الاستعمارية، إن قدم فرنسا إلى الجزائر لم يكن أمرا عفويا بل كان ذلك يندرج ضمن الحركة الاستعمارية التي شرعت الامبراطوريات الأوروبية الحديثة في تجسيدها.

أن المهمة الحضارية لفرنسا في الجزائر من جانب الرعاية الصحية إنما كانت تعنى بالأوروبيين فقط دون غيرهم فلا غرابة أن الحركة الإصلاحية عندما تعمد إلى تشخيص الواقع الجزائري بحثا عن العلاج الناجح، تقرر أن رأس الداء إنما هو الاستعمار، وأن الأوبئة التي أصاب الاستعمار بها الجزائر تتمثل في ثالوث أسود امتد كالأخطبوط مزامنا أمراضا ثلاثة هي الجهل والفقر والمرض، فالجهل أفقدها الشعور بوجودها، والفقر أقعدها عن العمل وشل أعضاءها عن الحركة والمرض وأذاب قوتها وذهب بريقها، فبقيت والحالة هذه عرضة للتلف والهلاك.

- عرفت الجزائر أثناء الفترة الاستعمارية انتشار الأمراض والأوبئة كالكوليرا Coléra والتيفويد Typhoide والجذري Variole والطاعون peste الذي استمر طيلة القرن 19 ما أدى إلى هلاك الآلاف من المواطنين.

خاتمة:

- بدورها الظروف البيئية كان لها تأثير على صحة الجزائريين حيث سببت الأوبئة الجوع والفقر خلال سنوات 1844م وحتى 1851م ومن 1866م وحتى 1868م، انعكس ذلك على المستوى المعيشي.

- فرض الفرنسيون الحصار على الجزائر يبين خوفا على ابناءهم من انتقال عدوى الأمراض التي كان يحملها العرب إلا أن الكثير من الأوروبيين لقوا حتفهم بسبب مرض السل وتغير المناخ خصوصا من عناصر الجنود الفرنسي.

- استفادة المعمر من الرعاية الصحية في أغلب الأحيان وحصر الاهتمام الطبي الفرنسي بالجزائر في لحظات الوباء لخوفهم من العدوى

- قلة الجزائريين في المستشفيات والمستوصفات الفرنسية.

وصفوة القول رغم محاولات المستعمر الفرنسي إيجاد حلول جادة للأوضاع التي آلت إليها الحالة الصحية في الجزائر المستعمرة حديثا، إلا أن تلك الحلول كانت عرجاء لكونها حلولا عنصرية في حد ذاتها لأنها وضعت لخدمة العنصر الدخيل ولم تأخذ بعين الاعتبار العنصر المحلي الذي اعتبرته من الدرجة الثانية وفي بعض الأحيان تعمدت ذلك عملا على تصنيفه بكل الطرق المشينة، كما اصطدمت تلك المحاولات بأوبئة وأمراض فتاكة مصدرها أوروبا عامة وفرنسا خاصة.

قائمة المصادر والمراجع

المقالات:

- الزين محمد، نظرة عن الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 17، 2012
- مساعد أسامة صاحب منعم، الأوضاع الاقتصادية العامة للجزائر في ظل الإدارة الفرنسية 1962/1830 ومحاولات البحث عن النفط قبل الاستقلال، مجلة مركز بابل للدراسات الانشائية، المجلد 04، العدد 03.
- سيدي محمد رامي، دور الاستعمار في تفشي الأمراض والأوبئة بالجزائر خلال القرن 19، مجلة عصور جديدة، فصيلة مصنفة ج، المجلد 10، العدد 04، (ديسمبر)، 1442هـ/2020م.
- إيدير معياش، راشدي وردية، تمثلات لوباء التيفوس في الخطاب السينمائي الأمازيغي، دراسة سيموأنثروبولوجية لعينة مقاطع فيلم "الربوة المنسية"، مجلة آفاق سينمائية، العدد خاص السينما والأوبئة، السنة فيفري 2021.
- علامة صليحة، تاريخ الأوبئة في الجزائر (الطاعون، الجدري، التيفوس، الملاريا)، مجلة القرطاس، العدد 02، جانفي 2015.
- غراف هجيرة، السلطة العثمانية وآليات الوقاية من الأوبئة في إيالة الجزائر، الحجر الصحي نموذجا، مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، المجلد 07، العدد 02، جويلية 2020.
- مؤيد محمود حمد المشهداني، مم سلوان رشيد رمضان، 2013، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد 05، العدد 16.
- بن الشيخ حكيم، المنظومة الصحية في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر، (1962/1830)، جامعة يحي فارس، المدية.
- كمال بيرم، الوضع الصحي بإقليم الحضنة (الجزائر) ووقع الاحتلال الفرنسي (1945/1840)، جامعة المسيلة، مجلة المعارف، العدد 22.

مذكرات:

- مخضار سليم، دراسة تحليلية تنافسية القطاع الصناعي في الجزائر مقارنة ببعض الدول العربية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية ، تخصص بحوث العمليات وتسيير مؤسسات جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2018/2017.
- فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1871/1518)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، منشورة، الجزائر (2004/2003).
- مجاهد يمينة، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي (1962/1830)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، (2018/2017).
- قندوز عبد القادر، الطب والأوضاع الصحية بالجزائر خلال العهد الفرنسي (1914/1830)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، (2017/2016).
- حمودي هدى، مصباحي حيزية، الأمراض والأوبئة في الجزائر أواخر العهد العثماني 1830/1770، ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، 2018.
- عثمان بوحجرة، الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1830/1519، مقاربة اجتماعية، ماستر، جامعة وهران أحمد بن بلة، 2015.
- مراح فاطمة، حازم سمية، الأوضاع السياسية والاجتماعية لمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني 1830/1766، شهادة الماستر، جامعة الجيلالي، بونعامة، خميس مليانة، 2017.

- يونس فهيمة، عثمان سلوى، الطب في الجزائر خلال العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي 1882/1518، ماستر، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، 2016.
- مجاهد يمينة، تاريخ الطب في ظل الاستعمار الفرنسي 1962/1830، دكتوراه، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، 2018.
- علامة صليحة، الأحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان.
- محاضرات:
- ساعد محمد، محاضرات لمقياس الاقتصاد الجزائري، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2018/2017.
- زايدي عز الدين، المؤسسات الصحية الاستعمارية في مواجهة الأوبئة خلال المرحلة الأولى من الاحتلال 1870/1830، أستاذ محاضر بقسم التاريخ، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس.
- بن الشيخ حكيم، المنظومة الصحية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر 1962/1830، أستاذ محاضر بجامعة الدكتور يحي فارس، المدية.

المصادر بالفرنسية:

- M.A.Vincent et V.Collardot .le choléra d'apres les neuf edidémies qui ont règne Alger , depuis1835 jusqu'en 1865 , librairie de la médcine , de la chirurgie et la pharmacie , militaires (victor.rozer– editeur, RO childobart,11prés la place saint german- des frés , frés , paris,1867.
- Domamtin , du paludisme en Algerie , conférence au cercle militaire de batna , MEDCIN , chef de l'hopital militaire IMPRIME, rie , LIBRAIRE BEUN 32 , rue de stif , batna .1900.
- Gabriéle squer , sur l'histoire de l'algerie après 1830 (correspondance du maéchalchauzel : gouvernement géneral des possession francaise dans le nord de l'afrique (1835-1837) editionlarouse ,11,rue victor , cousin , 11 paris (Ve)1948.
- L'abbé BURZET , histoire désastres de l'algerie (1866-1867-1868) sauterelle , trembement de terre Choléra – famine , mebre de l'association scientifique de France , TIMORIMERIE CENTRALE ALGERIENNE -usine a vapeur , eug , graudel , Alger 1869.
- J.Crespin, les origines médecine Tronçais en Algérie ecole de médecine et de pharmacie d'alger cours d'hygiende et de medecine l'egale, A.poinat Editeur, Publication médicales et scientifique, rue deptrent, II, Paris, 1909.

- Camille gros , compte rendu du service médical de l'ambulance , établie au hamma (prés d'alger) pendant l'épidémie cholérique de 1866 , Typographie duclause , rue du commerce , alger , 1867.
- J.poujal, petit guide médical du colon algérien, la lutte contre les maladies infectieuses en général et le PALUDISME en particulier, médecine de colonisation de la D'AIN-BESSEM (Alger) IMPRIMERIE ORIENTALE pi FONTANA ET C ir rue d'Orléans, 20, Alger, 1900
- A.Donatien .edm .plantureum et G.Gayot les maladies dues ades virusq -contacpes des Animaux domestiques en Algérie.

مقال بالفرنسية:

- Kadin M.Y les épidémies ayant sévien en Algérie au 19 éme et 20 émesiècle , faculté de médecine de Batna